مكتبتنا العربية

١٥٠
٧
٧

مجلة الأزهر

رجب سنة ١٣٧٥

التحيات لله

طلبة التدريب العسكرى بالأزهر ومعهم طلبة البعوث الاسلامية فى الصلاة

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

٤٠٠ مليم	فى وادى النيل
٤٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	لطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء السابع ـ القاهرة فى غرة رجب ١٣٧٥ ـ ١٣ فبراير ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب المصرى

جزء من الأمة العربية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هـذه حقيقة علمية ، رأينا التاريخ يستعرض أدلتها متسلسلة ومتوالية فى عشرات القرون الماضية ، ثم جاء دستور الشعب المصرى فى الشهر الماضى فأعلنها على رءوس الأشهاد ، وسجلها فى مادته الأولى .

إن الشعب المصرى ، وشقيقه فى السودان ، وسائر شعوب الشمال الإفريقى ، أجزاء كريمة فى الكيان العربى . وقد كان التعليم الاستعمارى فى مصر وما يليها من شمال إفريقية يحاول ـ بعناية وخبث ـ أن يشكك المثقفين فى مدارسه بهذه الحقيقة ليزلزل إيمانهم بها ، فيتمكن بعد ذلك من توهين رابطتهم القومية بالوطن العربى الأكبر ، لتضعف صلتهم بتاريخ العروبة وتراث الإسلام . . .

وقبل أن ينشب الاستعمار مخالبه فى كيان التعليم المصرى ، كان الفحول من علماء تاريخ مصر القديم ـ كالعلامة الأثرى أحمد كمال ، وصنوه العالم الضليع أحمد نجيب الأمين العام للآثار المصرية ـ يؤمنون برابطة مصر الوثيقة بالعروبة فى القرون الخالية ،

مكتبتنا العربية

حتى إن العلامة أحمد كمال ـ بعد أن انتهى من كتابة مسودة معجمه الضخم الذى ألفه للغة قدماء المصريين ـ تبين له أن نحو ثلث تلك اللغة يتفق مع لغتنا العدنانية ، فكان يقول لمن يتحدث معهم فى هذا الموضوع : لو أن اللغة العربية العريقة فى القدم والتى كانت معاصرة للغة قدماء المصريين محفوظة ومعلومة لنا لكانت نسبة التوافق بينها وبين لغة قدماء المصريين أكبر وأوسع مما توصلت إليه فى معجمى .

ويقول العلامة أحمد نجيب فى صفحة ١٢ من كتابه (الأثر الجليل لقدماء وادى النيل) المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٣١١ ، أى قبل أربع وستين سنة : إن التمدن المصرى صعد من الشمال الى الجنوب ، بدل أن يحدر مع النيل من الجنوب إلى الشمال . . . قال : ومن تأمل فى التماثيل المصرية القديمة المحفوظة بدار الآثار المصرية علم يقينا أن هذه الأمة من الجنس الأبيض الاسيوى ، وليست من الجنس الأسود الإفريقى . وقال : إن تركيب لغة قدماء المصريين مشابهة قوية بتركيب لغة آسيا (يعنى ما وراء العريش وسيناء)، وإن كثيرا من أصل لغتهم مشتق من اللغة الآرامية (وهى لغة سامية كالعربية، وكانت لغة بلاد الشام) ، كما أن الضمائر المتصلة والمنفصلة فى كلتا اللغتين أصلهما واحد . فأصل المصريين من الجنس السامى (أى الذى منه سكان بلاد العرب والشام والعراق) أتوا إلى هذا الوادى من برزخ السويس ، وربما وجدوا فيه طائفة من الزنوج فرت أمامهم صوب الجنوب . ومن البديهى أن النيل كان ـ فى تلك الحقبة ـ يمد ويجزر ويغير مجراه كل سنة بدون أن يروى شيئا من أرضه . وكان بعض الوجه البحرى مغمورا بمياه البحر المالح ، تتخلله جزائر تنبت البردى والاقحوان والقصب الفارسى ، فضرورة المعيشة أحوجت هؤلاء النازلين (أى الاسيويين ، وهم من عرب شرق سيناء وما وراءها) إلى ضبط مياه النيل بحفر الترع والخلجان وإقامة الجسور وحرث الأرض وزرعها . وبتمادى الأزمان صاروا قبائل وعشائر كثيرة لكل واحد منها رئيس ، وربما مكثوا على ذلك ثلاثة آلاف سنة أو أكثر ، فتكونت منهم ممالك صغيرة لكل واحدة منها قوانين وديانة ومعبودات خاصة، ثم انحازت تلك الممالك بعضها الى بعض فتكون منها مملكتان كبيرتان : إحداهما فى الصعيد ، والأخرى بالبحيرة » .

هذا هو تحقيق عالم مصرى متخصص ، وهو من أعلم المصريين بماضى وطنه ، وقد أهله علمه لأن يتولى أرفع مقام فى هذا الموضوع وهو مقام الأمانة العامة للآثار المصرية .

مكتبتنا العربية

والذى ذكره هو المعقول عن انفراد الزنوج الإفريقيين بسكنى وادى النيل قبل أن يستقر مجرى النيل على ما صار إليه فى الحضارة المصرية ، ثم طرأ عليهم عنصر جديد هو سلف الشعب المصرى الحاضر ، وهذا العنصر الطارئ لم يهبط من السماء ، ولا جاء من أمريكا وغيرها من البلاد القاصية ، وإنما دخل مصر من أقرب البلاد إليها وهى البلاد التى وراء العريش وسيناء ، أو البلاد المقابلة للصعيد فى الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، وهؤلاء وأولئك هم أسلافنا العرب ، ولا يمكن أن يكون غيرهم . وهؤلاء حتى لو لم يكونوا يسمون فى تلك العصور الموغلة فى القدم باسم العرب ، فهم هم ، مهما كان الاسم الذى كانوا يعرفون به ، ونجد آثارهم فى لغة قدماء المصريين المكتوبة بالحروف الهيروغليفية ، فأن ثلث لغة قدماء المصريين تتفق مع لغتنا العربية العدنانية ، ولو أن لغة قدماء سكان ماوراء سيناء والمناطق العربية كانت محفوظة ومعلومة لنا الآن لكانت نسبة مايتفق معها من لغة قدماء المصريين أعظم من ذلك بكثير . فالوطن العربى يغذى مصر بالمهاجرين إليها من أبنائه يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما وعصرا فعصرا باطراد وبلا انقطاع عن طريق سيناء والبحر الأحمر من قبل مينا بثلاثة آلاف سنة حتى الآن وإلى يوم القيامة ، بل إن مينا نفسه ـ وهو مؤسس أقدم وحدة لمصر ـ هو أحد هؤلاء الداخلين إلى مصر مما وراء العريش وسيناء كالألوف والملايين من أمثاله قبله وبعده .

وفى المجلد الثالث من مجلة المجمع اللغوى المصرى ص ٣٣١ أن (سترابون) أحد قدماء جغرافيي اليونان ومؤرخيهم (وكانت ولادته قبل المسيح بخمسين سنة) نص على أن نصف سكان مدينة قفط فى مصر العليا كانوا فى زمانه من العرب ، أى من موجات الهجرة العربية المتواصلة بلا انقطاع من بلاد العرب إلى الصعيد المصرى بحرا ، ومن طريق العريش وسينا إلى مديرية الشرقية وسائر بلاد الدلتا برا .

ومن أحدث موجات الهجرة العربية إلى مصر قبل الإسلام ما أشار إليه قبل أحد عشر قرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) فى كتابه (صفة جزيرة العرب) فى فصل عنوانه (مساكن من تشاءم من العرب) فذكر قبائل بنى بياضة من جذام ، وبنى راشدة من لخم ، والثعل من بنى الجرى ، وبنى أبير من عذرة ، وأنهم دخلوا جميعا مصر قبل الإسلام ، وتوطنوا بلادا منها فى الوجهين البحرى والقبلى . وكلما هضمت مصر موجة من الموجات العربية تلتها من ورائها موجة أخرى تجدد حيوية الدم العربى فى الأجسام المصرية التى كان أولها من هذا الجنس المبارك ، ولو لم يتجه

مكتبتنا العربية

الجنس العربى إلى مصر فى عشرات القرون ليكون كيانها القومى لبقيت مصر وطنا للزنوج الأقدمين الذين اكتسحتهم موجات الهجرة العربية فدفعتهم إلى آفاق بعيدة من قلب القارة السوداء .

فأنت ترى من هذه الحقائق التى كان التاريخ يستعرضها عصرا فعصرا أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربية» كما أعلنت ذلك المادة الأولى من دستور الشعب المصرى، وأن الدستور المصرى قد أحيى هذه الحقيقة العلمية ، فيما يحييه من حقائق ، وهو فى سبيل تجديد الحيوية فى مصر التى قررت أن تكون ركنا ركينا فى الكيان العربى . وقد كان كثيرون فيما مضى يحاولون تشكيك مصر فى عروبتها العريقة، خدمة لأغراض استعمارية وتبشيرية ، ولكن للباطل جولة ثم يضمحل .

إن الأمم التى تتكلم العربية الآن ـ فى العراق ، والشام ، ومصر ، والسودان ، وشمال إفريقيا ـ هى أمم سامية . والبيئة الأولى للأمم السامية جزيرة العرب ، والأصل الأول للغات واللهجات السامية لغة قديمة بادت هى اللغة السامية الأولى ، فكان أهلها الأولون كلما توالدوا وازداد عددهم فى الجنوب يرحل فريق منهم نحو الشمال ، وبتباعد الأوطان وتجدد الأزمان تتطور لهجاتهم وتفترق وتختلف وتحدث عند كل فريق منهم مسميات جديدة فيسميها كل فريق منهم باسم غير الذى يسميها به الآخرون ، وهكذا تحولت اللهجات السامية فصارت لغات تشترك فى أصولها ، وتفترق فيما تفرع عنها . ومن هذه الأمم السامية الأشوريون والبابليون والكلدانيون والآراميون والفينيقيون ، وقد كتبت قبل إحدى وثلاثين سنة رسالة بعنوان (اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب) بينت فيها أوقات نزوح هذه الأمم عن وطنها الأول جزيرة العرب والنصوص القديمة عن ذلك وتحقيقات علماء الغرب فى هذا الموضوع .

وقد تبين لى من هذه الدراسة أن جميع الأمم التى تتكلم العربية الآن وتنعم بالوحدة الشاملة فى ظل هذه اللغة ، كانت فى فجر التاريخ ـ وقبل التاريخ ـ أسرة واحدة تتكلم لغة واحدة هى اللغة السامية الأولى التى ذابت فى هذه اللغات وبادت ، وورثتها لهجات للأمم التى افترقت عنها ، ثم مع الزمن تحولت اللهجات إلى لغات سامية مستقلة ، حتى إذا جاء الإسلام ودخلت هذه الأمم وغيرها فى نظامه ، عادت للأمم السامية وحدتها فى

مكتبتنا العربية

ظل العربية ، وفى طليعة هذه الأمم مصر . فكان من معجزات الإسلام إعادة الوحدة - باللغة العربية - إلى جميع الأمم التى كانت لها مثل هذه الوحدة قبل افتراقها عن أصلها السامى الأول فى جزيرة العرب . واعلان الدستور المصرى الآن أن « الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » هو إعلان للمعجزة الإسلامية التى حققت وحدة العروبة للأمم التى كادت تنسى وحدتها السامية العريقة فى القدم .

على أنه لو لم تكن الدماء العربية من عشرة آلاف سنة الى الآن هى الخميرة المتجددة فى الكيان المصرى ، لكانت عروبة مصر فى بضعة عشر قرنا - من عهد مجدد كيانها الاجتماعى الرجل العظيم عمرو بن العاص السهمى - كافية لأن تجعل « الشعب المصرى جزءا كريما من الأمة العربية » ، فمصر - لهذا السبب وحده - أعرق فى عروبتها من عراقة سكان فرنسا فى جنسيتهم الفرنسية .

وهنا حقيقة يجب أن نجعلها نصب أعيننا فى مثل هذا البحث ، وهى أن الحضارة بوتقة تذوب فيها الأنساب ، وإذا كانت عروبة عربى القبيلة قائمة على أساس الأنساب ، لأن النسب هو وطن البدوى وعصبته وكيان قومه ، فأن عروبة عربى الحضارة تقوم على أساس اللغة والثقافة ووحدة المطمح . ومصر من ثلاثة عشر قرنا تتكلم بالعربية وتتثقف بثقافتها ، وإن حماقة الاستعمار - بما نصبه وينصبه للكيان العربى فى آسيا وإفريقيا من حبائل الكيد السياسى والاقتصادى والثقافى - قد وحد مطمح القومية العربية فى كل مكان ، فجعل العروق تنبض بأحساس واحد فى مصر والشام والحجاز ونجد وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وليبيا والسودان وفى كل مكان ينطق أهله بالضاد . وكانت هذه العروق النابضة بأحساس واحد فى حاجة الى تسجيل هذه الحقيقة تسجيلا رسميا فى مصر التى هى رأس العروبة المفكر ولسانها الناطق ، فجاء دستور الشعب معلنا هذه الحقيقة العلمية بالصوت الرسمى المجلجل ، وهو حادث تاريخى عظيم فى نظر كل من يراقب القومية العربية فى مراحل يقظتها وتقدمها ، وإن لهذا الحادث مابعده إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

أمثـــلة

من توافق العربية والمصرية القديمة

أشرنا فى افتتاحية هـذا الجزء إلى أن نحو ثلث اللغة المصرية المنقوشة بالهيروغليفية على الأحجار يتفق مع لغتنا العربية الحاضرة . ومن ذلك كلمة « سبط » بمعنى ابن الابن وابن البنت فأنه يتفق باللفظ والمعنى فى العربية والمصرية القديمة ولغات سامية أخرى .

قال العلامة أحمد كمال فى كتابه معجم اللغة المصرية القديمة : إن لفظة «سبط» وجدت فى نصائح (پتاح حتب) ووجدت على جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به فى العربية .

و «صهر» بمعنى طبخ وأذاب وردت فى اللغتين العربية والمصرية القديمة بمعنى واحد .

و « البيعة » بمعنى المعبد فى العربية ، وردت فى المصرية القديمة فى ورق ابوت ١ ؛ ؛ المؤشر عليه برقم ١٠٢٢١ فى متحف انجلـترا ، وفسروها بمعنى الجبانة ، ولـكن العلامة احمـد كمال يرجح أنها بمعنى المعبد كما يدل عليه السياق .

ومادة « زبر » و « ذبر » و « سفر » كلها واحدة بمعنى كتب . قال العلامة أحمد كمال : إنها قد تنوع لفظها فى العربية وفى النصوص المصرية . قال : وهـذا القلب والإبدال فى الحروف له أصول متبعة فى اللغتين العربية والمصرية القديمة ، والسبب فيه تعدد القبائل ولهجاتها .

وفى باب العدد كلمة « الثـامن » بالعربية ، فأنها باللغتين المصرية القديمة والفينيقية تلفظ « أشمون » أى الثامن ، ومدينة «أشمون» فى مصر سميت باللغة المصرية القديمة لتؤدى هذا المعنى .

هذا غيض من فيض ، ومثال للبعض من الـكل نكتفى به لتؤيد الحقيقة التاريخية ، وهى أن سكان مصر الأولين من الزنوج قـد نزحوا عنها قبل التاريخ وقبل استقرار النيل فى مجاريه وحل محلهم أقوام دخلوا وادى النيل من برزخ السويس أو قدموا إلى ضفاف البحر الأحمر الغربية من ضفافه الشرقية فى جزيرة العرب ، فهم السلف الحقيقى لسكان مصر الآن .

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٣٧ —

(ا) غرور الناقصين
(ب) وتزكية الآثمين

(ا) ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ؟؟ بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا .
(ب) انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ ؟ وكفى به إثما مبينا .

١ — من وسائل القرآن فى توجيه النصح أن يتخذ من الواقع مادة لقصصه ، وأمثلة لموضوعه . والأخذ من الواقع أجدى فى التأثير ، وأقوى فى الإفادة ، وأقوم فى الإصلاح .

وقد وجد القرآن من شأن أهل الكتاب والمشركين مجالا فسيحا لاستمداد العبرة فى تربية المسلمين ، ووجد من عناد أولئك جميعا أمثلة جمة يضربها للمسلمين ، ليجنبهم سوء ما وقع فيه غيرهم من قبل ، وليباعد بين أهله وبين المخازى التى جلبت على المخالفين تشنيع القرآن ، وجعلت قصصهم عبرة لأولى الألباب .

٢ — وأنت ترى فى الآية الأولى تند ا بمن كانوا يزكون أنفسهم زورا ، فيمتدحونها بما ليس فيها ، وينتحلون لها من الفضا ر مالها : ظانين أن تمدحهم بخير لم يصنعوه يرفع من قدرهم كما يشتهون .

وكان هذا شأن أهل الكتاب منذ دلوا بعد أنبيائهم ، ثم منذ احتدمت الخصومة بين يهودهم ونصاراهم .

مكتبتنا العربية

وكان المشركون من قريش كذلك بعد : ينتحلون لأنفسهم سيادة، ويشمخون بسيطرتهم على الأتباع من ضعفائهم، ثم كانت هذه النزعات المتشابهة من جنوح كل فريق إلى إعجابهم بما هم عليه سببا فى انحياز أهل الكتاب إلى المشركين وقتا ما ، ليواطئوهم على قتال محمد وصحبه ، حتى يتخلصوا من دعوته التى غاظتهم جميعا ، والتى سلكت طريقها رغم تفرقهم عنها ، والتى أخذت تجرف باطلهم بحقها ، وتدحض كثرتهم بقوتها .

وكانوا جميعا يرون فى الإسلام مساواة ، وعدالة ، وحرية ، ومعانى كثيرة يتلاشى أمامها الاستبداد الذى ألفوه ، والكبرياء الذى استمرءوه ، والضلال الذى شبوا عليه وارتاحوا إليه ، فلم يكن يعجبهم أن يستجيبوا لهذا الدين ، أو يستمعوا لرسوله .

٣ — وإذ كانت تزكيتهم لأنفسهم شاغلا عن التفكير فى عيوبهم ، وصارفا عن تكميل نقصهم ، وقادحا فى أذهانهم أنهم فى غير حاجة إلى هداية ، أراد الله أن ينهى المسلمين عن هذه الخصلة التى تقف بهم دون الكمال ، وتقعد بهم عن مسايرة الجديد النافع ، إلى العكوف على ما كان عليه آباؤهم ، فى حين أن الإسلام ينشد فى أهله أن يكونوا الدولة الفتية الناهضة إلى كل صالح مفيد .

٤ — جاء النهى عن تزكية النفس فى أساليب متنوعة : فمرة يأتى صريحا قاطعا ، كقوله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى » يعنى : مدحكم لأنفسكم بالقول غير مجديكم ، ولا جائز لكم ، والعبرة بالتقوى فى العمل ، وعلم ذلك عند الله لا عند الناس . ومرة يأتى النهى بصيغة الوعيد والتهديد الشديد ، كقوله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم » . والمزكون لأنفسهم بالقول يحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوا ، فهم المهددون بالعذاب فى صريح الآية .

ومرة ثالثة يأتى النهى فى أسلوب التشنيع وإثارة السخرية من المزكين لأنفسهم ، كقوله تعالى : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » فهذا استفهام للتعجب ، ولإثارة التعجب والأنكار والسخرية ممن كانوا يتسمون بالأقاويل المكذوبة، ثم يكشف عن خطئهم فى زعمهم فيقول : « بل الله يزكى من يشاء » يعنى أن التزكية الحقة هى فى هداية الله إلى الطاعة ، وتوجيهه إلى وأما العاكفون على تزكية أنفسهم

مكتبتنا العربية

فسيحاسبون على عملهم هذا ، ولا يظلمون فى شر ، ولا فى خير ، ولو كان عملهم ضئيلا كالفتيل ، وهو الخيط الذى يعهدونه فى جوف التمرة .

٥ — وقد يقال : كيف يجزون على الخير وهم خالدون فى النار لكفرهم ؟

وجواب ذلك أن المزكين لأنفسهم إن كان لهم عمل طيب فانه يخفف عنهم عذابهم بالنسبة لكافر لم يكن له عمل كعملهم ، فالكفار جميعا خالدون فى جهنم ، ولهم فيها عذاب شديد — أعاذنا الله — ولكن شدة العذاب تتفاوت بينهم ، وفى جهنم طبقات تختلف عن بعضها ، ولكل باب من أبوابها جزء مقسوم ممن قدر عليهم العذاب فيها ، وفى القرآن آيات يشهد ظاهرها بذلك ، كقوله تعالى : « فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » وقوله تعالى : « ولا يظلمون فتيلا » . وتخفيف العذاب هناك لايشعرهم بهناءة ، ولكنه يقنعهم بعدل الله فيهم ، ويقيم الحجة عليهم ، ويزيدهم ندما على تخلفهم وحرمانهم ، حتى يقولوا : « ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » .

وليس فى هذا القول منافاة لما ورد من الآيات فى سوء حالهم جميعا : ففريق منهم فى السعير ، وفريق فى الزمهرير ، وفريق فى سقر ، وآخرون فى الدرك الأسفل ، وهكذا . . . مما يؤكد أن العذاب متفاوت فى نوعه ، وأن الشر فيه متفاوت .

٦ — ونعود إلى التزكية التى كانت سببا فى النهى عنها . . فأهل الكتاب ينقسمون على أنفسهم ، ويتبارون فى التزكية على بعضهم ! فاليهود يقولون : نحن شعب الله المختار . . . نحن أبناء الله وأحباؤه . . لن يعذبنا بذنوبنا ، فأننا أطهار منها كطهارة أطفالنا . . ليست النصارى على شىء من الحق .

والنصارى يرون فى أنفسهم مثل ما يرى اليهود فى أنفسهم ، ويقولون : ليست اليهود على شىء من الحق . وكل حزب بما لديهم فرحون .

وكانت قريش ترى لنفسها سيادة ومكانة فوق ما للمؤمنين بمحمد صلوات الله عليه ، وكانوا يقولون فى الإسلام والمسلمين : « لو كان خيرا ماسبقونا إليه » وهكذا من أساليب الافتراء التى يتعللون بها ، ويركنون إليها .

مكتبتنا العربية

(ب) ثم جاءت الآية الثانية تدحض هـذا الافتراء فى إيضاح أتم ، وتقريع أشد ، لأن المزكى لنفسه يثبت لهـا عند الله فضلا ليس لها « انظر كيف يفترون على الله الكذب ؟ وكفى به إثمـا مبينا » .

٧ — وهذه الآية آكد فى التعجب من الأولى، وأشد استهجانا لمـا هم عليه من التزكية المـكذوبة، والـكذب كله شنيع، وأشنعه الكذب على الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وإذا كان كذب الولد على والده ، وكذب المرءوس على رئيسه ، وكذب الخادم على مخدومه، والزوجة على زوجها ، ممـا يعد جرأة غير هينة ، وجرما غير يسير ، فـكيف يكون الكذب على الله شناعة ، وخزيا ، وضررا بالنفس و بالناس ؟؟ « وكفى به إثمـا مبينا » يعنى حسب الكاذب على الله إثمه المبين الواضح ، أوالمبين القاطع الذى يقطعه عن رحمة الله قطعا لا صلة له ، كأبانة الحبل بقطعه قطعا لا تبقى له صلة .

٨ — وإنمـا كانت التزكية بهذه المثابة من سخط الله ؛ لأن تصوير المرء لنفسه عند الناس بغير صفاته يحمل الناس على حسن الظن به، فينزلقون فى حسن الظن به ، فإذا غلب عليه طبعه أصابهم من ضرره ما لا ينبغى أن يكون ، وهذا خداع لا يلائم صالح الجماعة ، ولا يتفق مع ما يحاوله من حمـل الناس على الثقة فيه ، والاطمئنان إليه ولو فى المحيط الضيق الذى يعيش فيه .

وجهة ثانية : هى أن الناس إذا رأوا من المزكى لنفسه مناقضة لقوله ، وعملا غير مرضى، أساءوا الظن ببعضهم، وأصبح الـكذب مفروضا فى أحاديثهم، فتضيع الثقة، وتنعدم الرحمة بينهم ، والإسلام ينفى الضرر ولو كان مظنونا ، أو من أبعد طرقه .

٩ — وهنا يقال : كيف ذلك كله : وقد امتدح القرآن تزكية المرء لنفسه فى قوله تعالى : « قد أفلح من تزكى ـ قد أفلح من زكاها » ؟ .

وجواب هـذا : أن التزكية بالقول المـكذوب هى مورد الحظر ، ومعرض النهى ، لمـا علمت فيها من أضرار بالمجتمع ، و بالخلق ، و بالدين . . فوق أنها رياء ، وخداع ، وانصراف عن محاولة الـكمال إلى تلك الميوعة ، والإعجاب بالنفس الخ .

مكتبتنا العربية

أما التزكية بالحق ، فهى تطهير النفس من المآثم ، وتجميلها بعمل الطيبات ، وإسداء المعروف قدر الطاقة .. فبهذا تزكو النفس : بمعنى تنمو ، كما يزكو الزرع ، ويترعرع بخدمته وتعهده ، وتلك التزكية هى المطلوبة فى الآيات ، وهى المحببة إلى النفوس عامة ، وفيها يكون التنافس ، لا فى مثل ما اصطنع أهل الكتاب ، أو اصطنعت قريش ، أو يصطنع المعجبون بأنفسهم حتى اليوم .

وبعد — فهذه نزعة من النزعات الفاشية بين الناس فى كل طبقة وفى كل جيل ، وهى لون من ألوان العقلية المختلفة بحكم الفطرة .

والقرآن — حينما عرض لها بالإنكار والتشنيع — لا يقصد الرجوع بهديه إلى من سبقوا ، وحاقت بهم مآثمهم ، وإنما قصد — كما أسلفنا — وقاية المسلمين من التدافع فى الإعجاب بأنفسهم ، والتهافت على تزكيتها بالدعاية المفتراة ، والاشتغال بهذا الهذر عن الجد فى تربية الخلق ، والنظر فى عيوب الأنفس ونقائصها ، والأخذ بالكمال مما علمنا الله ومما تعارفه العقلاء ، وهذا هو سبيل البقاء للذكريات الطيبات ، ووسيلة البناء لمجد الأمم وتنقية المجتمع من تلك التعللات التى تتعشقها النفوس الهزيلة .

ولعل المسلمين الأولين طفروا طفرتهم من الجاهلية إلى المثالية التى يتغنى بها التاريخ ، لأنهم شغلوا أنفسهم بعيوبها ، واستيحشوا همهم إلى التزود من الكمال فى معارفهم ، وفى أخلاقهم ، وفى نظمهم عامة .

وقد كانت النخوة العربية تضطرم فى دمويتهم ، وفى خواطرهم ، وكانت غيرتهم على التوجيه مشبوبة فى صدورهم ، فلما جاء الإسلام وجد منهم تربة صالحة لغرس مبادئه ، ووجد فيهم أذهانا صالحة للتنمية ، وللصقل ، فما كادوا يسمعون دعوة الله ، ويتذوقون الدين ، ويتنسمون روحه ، حتى نشطوا إلى وقاية أنفسهم ومجتمعهم بالخلق الصادق ، ولم يشغلهم التخنث والتواكل بتزكية أنفسهم ، والتمويه على مابهم من وهن .

وإذا كانت الشعوب الإسلامية تعثرت فى الاستعمار أزمانا ، وتخلفت عن متابعة الأسلاف أحقابا ، وتخلت عن مقاعد شامخة كانت لهم فى الصدارة ، فقد آذنت حياتهم باليقظة ، ونشطت همهم إلى تدارك مافات ، وها هى ذى : تطارد الاستعمار فى غير هوادة ، وتجتاحه فى غير تريث ، حتى أخذ ينكمش فى سرعة ، وتنقشع سحبه فى غير تردد ، وتقلصت حياته من أرض العروبة ، وعما قليل ينجاب ظله عما بقى من الوطن الإسلامى .

وهذه صحوة الأمم الإسلامية بدت فى مظاهرها هنا وهناك ، ونهض الشرق يضم

مكتبتنا العربية

صفوفه ويجمع أشتاته ، ويتجهم لمن يتوانى من شعوبه ؛ أو يجنح إلى سياسة المستعمرين، وأصبحت صيحات الشرق كله تتجاوب فى ربوعه، وبين أقطاره بالدعوة إلى الاستبسال والتكتل والحذر من خدع الغرب التى غشيتنا زمنا ما ، ولعل امتحان العروبة والإسلام بما مضى من تحكم الاستعمار يكفى عظة وتنبيها لمن يخامره شك فى ألاعيب اللاعبين من أمم غربية لم يسبق لها برهان واحد على حسن النية نحو الشرق وأهله .

وإن مصر ـ والحمد لله ـ قد سبقت إلى هذه الصيحات المدوية فأعلنتها بين الخافقين ، وتردد صداها فى المشرقين ، وبدأ العالم يشهد أن ثورة مصر كانت كامنة فى ضمير شعبها إلى وقتها المناسب ، ويشهد أن أبطال ثورتها كانوا الذخيرة التى أعدها التاريخ الحديث لتنهض فى وجه الزمن العابث ، وتوقظ العالم كله نحو مصر بالأعجاب ، كما تعود العالم فى ماضيه أن يقف منها موقف الأعجاب .

وسيرى الناس من حاضرها وفى مستقبلها ما يزيدهم إيمانا بمصرية مصر، وإعجابا بأبطال ثورة مصر .

وخير ما يعود إلى الذاكرة اليوم وبعد طول الزمن : هو صيحة الأسلام فى فجر تاريخه « حى على الفلاح . حى على الفلاح » وهو شعارنا إلى اليوم وبعد اليوم . ومن لم يفهم شعارنا أو لم يدرك ديننا فليعلم أن ترجمة هذا الشعار هى ثورة مصر الحاضرة الرشيدة ؛

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مرضى الافهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا ، حتى ان الأدمغة لتعد من أكبر العلل فى أمراض التاريخ الإنسانى ، وربما كانت العلة الكبرى فى طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها .

مكتبتنا العربية

السنة

خاتم النبيين

— ٤ —

من أذناب المتنبئين ـ المنصورية ـ القاديانية ـ البهائية ـ متنبئ جديد ـ ورثة الأنبياء ـ الصحابة والتابعون ـ نزول عيسى عليه السلام .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

قلنا فى نهاية الجزء الماضى : إن الله ـ جلت حكمته ـ لا يزال يبتلى هذا الدين الحنيف بأرؤس من هؤلاء الدجاجلة المتنبئين ، تتحرك ثم تقطع ، ثم تبقى أذنابها تتلوى حينا من الدهر على عمى وتخبط ، إلى أن يقطعها الله كما قطع أصولها من قبل ، بأيدى أولى بأس من عباده ، ووعدنا أن يكون هذا الحديث الختامى فى هؤلاء الأذناب ، قطع الله دابرهم ، وأراح العالمين من شرهم :

* * *

فمن هؤلاء أذناب أبى منصور العجلى ، من أهل الكوفة ، عاصر محمدا الباقر . . . ولما كشف الباقر خيانته لأصل الإسلام تبرأ منه ، وعلى الرغم من براءته منه ادعى بعد

مكتبتنا العربية

موته أنه وصيه ، وزعم أن عليا والحسنين وعلى بن الحسين ومحمدا الباقر كانوا كلهم أنبياء مرسلين ! وأنه هو أيضا نبي ورسول ! وستكون النبوة فى ستة من ولده آخرهم « القائم » !

وكما أن ابن سبأ هو أول من اخترع كلمة « الوصى » فان العجلى هو أول من اخترع كلمة « القائم » وزعم العجلى ـ فيما زعم ـ أنه عرج به إلى السماء .. وكان يحرض أذنابه على خنق مخالفيه ! ولم يزل فى عماءته حتى أخذ وصلب فى ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق لهشام بن عبد الملك [١] .

* * *

ومنهم مرزا غلام أحمد [٢] الهندى القاديانى زعيم الأحمدية ، كان يزعم أنه ينزل عليه الوحى ، وأنه نبي ورسول ، وزعم أصحابه فيما سموه « البشارة الإسلامية الأحمدية » أن الله كلمه بجميع الطرق التى يكلم بها أنبياءه ، لأن الأنبياء فى وصف النبوة سواء ! ! ومع هذا الكفر البواح يزعمون إفكا وبهتانا أنهم مسلمون ! ! ! وقد أهلك الله هذا القاديانى بأسهال شديد مزمن فى سنة ١٣٢٦

* * *

ومنهم البابية ثم البهائية ، أذناب مرزا على محمد الملقب بالباب ، الذى ابتدع هذه النحلة ونعق بها سنة ١٢٦٠ إلى أن أعدمته الحكومة الإيرانية فى تبريز صلبا سنة ١٢٦٥ ، ثم زعم أحد شيعته الملقب بهاء الله أنه الموعود الذى أخبر عنه الباب ، وقبل دعوته أكثر البابيين ، وتسموا حينئذ بالبهائيين ؛ وبقى البهاء بعكا منفيا إلى أن هلك بها سنة ١٣٠٩ فتولى رياسة الطائفة ابنه عباس الملقب عبد البهاء ، فأخذ يدعو إلى هذه النحلة الضالة ، ويتصرف فيها كما يشاء .

وقد زعم مرزا على أنه رسول من الله ! ووضع كتابا ادعى أن ما فيه شريعة منزلة ، وسماه البيان ، وقال فى رسالة بعث بها إلى الشيخ الآلوسى صاحب التفسير المشهور « روح

---

(١) انظر ص ٩٦ من حاشية السيد محب الدين الخطيب على « المنتقى » من منهاج الاعتدال .

(٢) مرزا : كلمة فارسية معناها الأمير ؛ ولعلهم يريدون هنا الإمارة فى الدين والرياسة فيه . ومعنى غلام أحمد : خادمه وتابعه .

مكتبتنا العربية

المعانى » دعاه فيها الى مذهبه الذى سماه كذبا على الله دين الله ، ثم زعم المسمى بهاء الله أن رسالته هى لتأسيس السلام على الأرض !

* * *

ادعى الباب الرسالة ! ثم زعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، ثم هذى بما انتحل لأتباعه أحكاما لا وجهة لها إلا هدم الإسلام من أساسه ! ! !

ولم يكتفوا ـ خيبهم الله ـ بدعوى النبوة والرسالة ، بل طفروا منها إلى ما طفر إليه بعض أئمتهم « الباطنية » من قبل ، فادعوا حلول الإله فى بعض زعمائهم كما قال «القرامطة» بألهية محمد بن إسماعيل بن جعفر ! ! ! وقد ظهرت دعوى الحلول جلية فى بعض مقالات البهائية [١] .

ومهما يكن فى هذه النحلة الفاجرة من خلط واضطراب فى دعوى النبوة والرسالة ونسخ الإسلام أو توحيد الأديان تارة ، وفى دعوى الحلول والإلهية وتجليها فى بعض أشخاصهم تارة أخرى ـ فأن غرضها الذى ترمى إليه إنما هو هدم الإسلام بمعاول تختلف باختلاف عدو الأنبياء من شياطين الإنس والجن فى تقلبهم ، وفيما يوحى بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره .

قال العلامة الآلوسى فى تفسيره :

وقد ظهر فى هذا العصر [٢] عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية ، لهم فى هذا الباب فصول ، يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فى سلك ذوى العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم فى العراق ، لولاهمة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق ، حيث خذلهم ، نصره الله تعالى وشتت شملهم ، وغضب عليهم رضى الله تعالى عنه وأفسد عملهم ، بجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرا ، ودفع عنه فى الدارين ضيما وضيرا » .

---

(١) راجع مقال السيد الخضر فى المجلد الأول من هذه المجلة (ص ٣٥٥ — ٣٧٠) ثم راجع مقالى السيد محب الدين الخطيب فى مجلد العام السابق .

(٢) يعنى سنة ١٢٦١ هـ وقد توفى الآلوسى رحمه الله عام ١٢٧٠ .

مكتبتنا العربية

ونحن ندعو الله جلت قدرته بما دعا به الآلوسى ، لأولى الأمر من المسلمين جميعا أن يتعقبوا هؤلاء الأذناب المفسدين ، بالسنان والبيان ، حتى لا يقع فى شركهم الضعفاء من الطغام .

وقد كفتنا مجلتنا هذه ـ بارك الله عليها وعلى القائمين بها ـ مؤنة البسط فى تلك النحلة وضلالها ، بما كشفت من مخازيها ، وحذرت من أباطيلها ، وكتبت من مقالات أضحت للمؤلفين مصدرا ، وللباحثين منارا [١] .

وقد يكون من الطريف أن نشير هنا إلى ماروته الصحف أخيرا من ظهور أفاك جديد فى شرق السودان ، يدعى « على هياتى » ادعى النبوة فى شراذم من الطغام أخذوا يلتفون حوله ، وخشيت الحكومة خطره على الأمن ، فقررت نفيه إلى « حلفا » فثار على هذا التصرف سكان الوادى خوفا على معتقداتهم ، وناشدوا ولاة الأمور أن يطردوه إلى مكانه الأول (٢) .

* * *

إن ظهور هؤلاء الأفاكين حينا بعد حين ، أعظم الدلائل على صدق خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وعلى أن النبوة قد ختمت به فلا نبى بعده .

ذلك بأنهم يظهرون وبرهانات الكذب تحيط بهم ثم تلبسهم ، ويتخذ الناس منهم ـ حتى العامة ـ طريقا للتندر والاستهزاء والسخرية .

لكن هذا لن يمنع أولى الأمر أن يضربوا على أيديهم درءا لما يخشى من فتنتهم للبله والأغرار من أشباه الناس .. ثم إعظاما لمقام النبوة .

* * *

---

(١) من محاسن الموافقات أن يكتب ببسط وإفاضة فى نحلتى البهائية أو القاديانية أو هما معا ، رؤساء تحرير هذه المجلة على التعاقب : فكتب أستاذنا الأجل السيد الخضر فى البهائية فى المجلد لأول ، وفى القاديانية فى المجلدين الثالث والرابع ؛ وكتب الأستاذ وجدى فى البهائية والقاديانية فى المجلد الخامس ، وكتب الأستاذ السيد محب الدين فى البهائية فى المجلد السادس والعشرين ، عدا ما كتب كتاب آخرون فى أجزاء شتى .

(٢) اقرأ أنباء الخرطوم فى أهرام السبت ٧ / ١ / ١٩٥٦

مكتبتنا العربية

وإذا كانت النبوة قد ختمت بالخاتم صلوات الله وسلامه عليه ، فان ورثة الأنبياء من أمته ، قد ورثوا عنه مقام البلاغ من بعده ، فكان أعلى من بلغ عنه أصحابه رضى الله عنهم ... بلغوا جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، فى ليله ونهاره ، وسفره وحضره ، وجهره وسره ، ثم التابعون لهم بإحسان ممن بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بأنهم لا يزالون قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ... فبنورهم يقتدى المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك السائرون .

* * *

ولا يعارض ختام نبوته صلى الله عليه وسلم ، نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان من السماء حكما عدلا مقسطا ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ؛ لأنه لا ينزل بشرع جديد ، وإنما يحكم بشريعة أخيه وأولى الناس به .

لا جرم أن اتباع عيسى لأخيه محمد ـ عليهما صلوات الله وسلامه ـ تأييد لنبوته ـ وتصديق لدعوته ـ وتكريم لخير أمة أخرجت للناس ٩

طه محمد الساكت

نظرية التطور

فى علوم العرب ودراساتهم

قال العلامة درابر الأمريكى :

« تأخذنا الدهشة أحيانا عند ما ننظر فى كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا فى زماننا ، كالرأى الجديد فى ترقى الكائنات العضوية وتدرجها فى كمال أنواعها ، فان هذا الرأى كان مما يعلمه العرب فى مدارسهم ، وكانوا يذهبون إلى أبعد مما ذهبنا ، فكان عندهم عاما يشمل الكائنات العضوية والمعادن . والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن فى أشكالها » .

مكتبتنا العربية

بنو اسرائيل
فى الماضى والحاضر

— ٢ —

اليهود قوم بهت[١] : وبنو إسرائيل عريقون فى الكذب لا يتورعون عن الافتراء ولا عن مناقضة أنفسهم بين ساعة ومنتهاها ، وتلك طبيعة فيهم . روى الثقات[٢] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يارسول الله، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بأسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه، فقال : « يا معشر اليهود، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا ، وأنى جئتكم بحق ، فأسلموا ، فقالوا : ما نعلمه ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم ، قال : يا بن سلام اخرج عليهم ، فخرج فقال : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بالحق ، فقالوا : أنت شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه ! فقال : يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف .

فهل رأيت ـ أيها القارئ ـ فى باب الهوى المتبع والتناقض المشين أعجب من هذا ؟!

* * *

اجتراؤهم على الله سبحانه :

وقد بلغ بعلمائهم الطيش وخفة الأحلام غايتهما حينما تعدوا على الرب جل وعلا ،

---

(١) بهت بضم الباء والهاء : جمع بهوت كرسول ورسل ، والبهوت : العريق فى الكذب والافتراء .

(٢) صحيح البخارى قبل « باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة » .

مكتبتنا العربية

ورموه بأقبح الصفات . روى ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال : « دخل أبو بكر رضى الله عنه بيت المدراس (١) ، فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من حاجة ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم [٢] : ينهاكم عن الربا ، ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا .

فغضب الصديق أبو بكر رضى الله عنه ، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ـ على ما كان يتصف به الصديق من الحلم والرزانة والوقار ـ وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك ياعدو الله . فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ، انظر ماصنع بى صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حملك على ماصنعت يا أبا بكر » ؟ فقال : يارسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء . فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه . فجحد فنحاص وقال : ماقلت ذلك . فأنزل الله سبحانه ردا على فنحاص وأتباعه وتصديقا للصديق أبى بكر قوله : «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ؛ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » ثم تستطرد الآيات الى كذبة أخرى من كذباتهم على الله ، فيقول الله سبحانه : « الذين قالوا ان الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم ، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » (٣)

---

(١) المدراس : الكنيسة التى يتدارسون فيها كتابهم .

(٢) يريدون ـ لعنهم الله ـ قول الحق تبارك وتعالى حاثا على الانفاق والتصدق فى سبيل الله : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » الآية .

(٣) سورة آل عمران الآيات من ١٨٢ — ١٨٤ .

مكتبتنا العربية

ويتصل بفريتهم السابقة فرية أخرى ، وهى زعمهم أن الله بخيـل (١) ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ لأنه يضيق عليهم فى بعض الأحيان ، ولا يعطيهم من الأموال والخيرات ما يملأ عيونهم التى لا يملؤها التراب ، فأكذبهم الحق ولعنهم ، وبين أن يديه تفيضان بالجود والخير العميم لمن يشاء ، وأنهم قوم أكل الحقد والحسد قلوبهم ، وتغلب عليهم حب الشر وارانة الدماء ، ولولا أن الله يردكيدهم فى نحرهم ويطفئ نار فتنتهم لامتـلأت الأرض بالفساد والخراب . وإليك قول الحق تبارك وتعالى : «وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين » [٢]

وما كان لنا أن ندع قصة فنحاص وما فيها من حماقة حمقاء ، وضعف فى الجـدال ، وتلبيس على السذج من الناس ، بألقاء الشبهات والترهات وبدء بالعدوان الأثيم ، ثم اسراع إلى التظلم وبث الشـكوى ، ما كان لنا أن ندع ذلك دون أن نبين أن سلالاتهم من سكان ـ ما زعموا ـ إسرائيل قد اقتدوا بهم حذو النعل بالنعل ، فـما من مرة يغدرون فيها ، ويسفكون الدماء ، وينقضون العهود ، إلا وتجدهم يقيمون غدرهم على أساس أوهى من بيت العنكبوت ، ويسرعون بالشكوى التى يملئونها زورا وبهتانا كى يوهموا من لا يعـلم الحق والواقع ـ أو يعلم ولـكن يتجاهل ـ أنهم مظلومون ومجنى عليهم وأن الحـق معهم ، والحق منهم برىء .

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشـد التطابق بين شذاذ الآفاق ورذالة الخلق فى الحاضر وأسلافهم الذين شردهم بختنصر ، وسامهم الخسف والهـوان طيطوس الرومانى فى القـديم ! !

وقد يستبد ببعضهم الهوى والغضب فيلقون بالقول جزافا ، وقد يترتب عليه إنكار بعض الحقائق المقررة التى يعترفون بها ولا يسعهم إنكارها ؛ قال سعيد بن جبير : جاء رجـل

---

(١) قيل إن قائل ذلك هو فنحاص أيضا ، وقيل غيره . وأيا كان القائل فقد ارتضى هذا وذاك الـكثيرون منهم ولم ينكروه .

(٢) المـائدة الآية ٦٤

مكتبتنا العربية

يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي: « أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى، أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين » ـ وكان حبرا سمينا ـ فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه من اليهود لما علموا بمقالته: أليس أن الله أنزل التوراة على موسى؟ فلم قلت هذه المقالة. فقال مالك: أغضبنى محمد، فقلت ذلك (١). وفى رواية لابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فأنزل الله سبحانه: « وما قدروا الله حق قدره » الآية.

وقد لقن الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم حجة دامغة أخمتهم وألقمتهم حجرا فقال: قل لهم: إذا كان الأمر كما زعمتم فمن الذى أنزل التوراة على موسى الذى آمنتم به واعترفتم برسالته؟ وقد ذكر الله مقالتهم والرد عليها فى قوله: « وما قدروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (٢) ».

فهل مثل هؤلاء الذين يستخفهم الغضب والحمق إلى أنكار أمر مقرر عندهم يرجى منهم أو من أسلافهم وسلالاتهم إذعان لحق أو إقرار بفضل لذويه مهما تواردت عليه البينات؟ وأليسوا الآن إذا استبد بهم الغضب والطيش ينكرون البدهى من حقوق

---

(١) تفسير القرطبى جزء ٧ ص ٣٧.

(٢) سورة الأنعام الآية (٩١). وللمفسرين فى هذه قولان: الأول: أنها نزلت فى اليهود، وأنهم هم المخاطبون بها. والثانى: أنها نزلت فى المشركين، وأنهم الذين قالوا هذا القول. ويرجحون هذا بأن السورة مكية. والذى يترجح عندنا ـ والله أعلم ـ الأول، ولا يشكل كون السورة مكية فبعض السور المكية فيها بعض الآيات المدنية. وقد ذكر البغوى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « نزلت سورة الأنعام بمكة إلا قوله تعالى: « وما قدروا الله حق قدره» الخ الآيات الثلاث، وقوله تعالى: « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم ـ إلى قوله ـ لعلكم تتقون» فهذه الست الآيات مدنية. ويكاد يعين أن الآية فى اليهود الرد عليهم بقوله سبحانه: « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى »، ولو كانت فى المشركين لما اتجه الرد، إذ المشركون لايقرون بنبوة موسى فضلا عن غيره.

مكتبتنا العربية

الإنسان فيأتون المنكر من القول والسيئ من الفعال التى يندى لها جبين الإنسانية المهذبة الفاضلة . ؟ ؟

* * *

عداوة بنى إسرائيل لأنبيائهم وقتلهم لبعضهم :

قلنا فيما سبق إن بنى إسرائيل عرفوا من قديم الزمان بعصل الطباع ، وفساد الفطرة ، وضراوة الأخلاق ، والشهوة إلى إراقة الدماء . وقد وجد منهم موسى أسوأ ما وجد نبى من قومه ، ووجد منهم الأنبياء من بعده العنت والأذى والقتل، حتى لقد روى أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا ، وكان ممن قتلوا نبيا الله : زكريا ويحيي عليهما السلام ، وقد قيل إنهما قتلا فى حادثة واحدة وفى يوم واحد ، وكان يحيي تقيا صالحا ويعتبر حجة فى الشريعة الموسوية ومرجعا لكل من يستفتى فى أحكامها، وكان فى زمانه حاكم من حكام فلسطين، وكان له بنت أخ بارعة الجمال أراد عمها أن يتزوجها ، لكن يحيي أبى ذلك لأنه حرام ، فأوعزت أم البنت إليها أن تخرج إلى عمها فى زينتها ، فأذا ما سألها عما تريد فلتقل له إنها تطلب رأس يحيي بن زكريا فى هذا الطبق ، ونفذت البنت هذه الخطة المنكرة ، فما كان من عمها إلا أن أجابها إلى ما أرادت وقتل نبيا كان سيدا وحصورا ومن الصالحين ، فلما رأى أبوه زكريا ذلك فر فأدركوه وقتلوه . وقد انتقم الله منهم وسلط عليهم من أكثر فيهم القتل وسامهم سوء العذاب .

* * *

رميهم السيدة مريم بالزنا وهمهم بقتل السيد المسيح عليه السلام :

كان حمل مريم بولدها عيسى عليه السلام من غير أن يمسسها بشر آية خارقة من آيات الله، ومعجزة من المعجزات الخالدة، فلما ولدت العذراء البتول ولدها وجاءت به إلى قومها تحمله أرجف بها الموجفون من بنى إسرائيل، ورموها بالزنا وهى منه براء، ولكن الله الذى يتولى الصالحين والصالحات من عباده أنطق عيسى وهو لا يزال فى المهد صبيا « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » الآيات . فكان فى هذا الأرهاص تبرئة لساحة السيدة العذراء مما رماها

مكتبتنا العربية

به هؤلاء الملاعين الأرجاس . ثم ينبأ عيسى ويأتى بشريعة مصدقة لشريعة موسى عليه السلام، فيجد بنى إسرائيل نسوا حظا مما ذكروا به، وغيروا فيها وحرفوا وطال عليهم الأمد حتى قست قلوبهم وأقفرت نفوسهم من معانى الهدى والحق والخير ، وهاله ما صنعوه بابن خالته يحيى وأبيه، فصار يعظهم ويذكرهم بعبارات ترقق القلوب القاسية وتلين الصخور الصماء ، فما لانت قلوبهم، ولا تركوا ما كانوا عليه من الجشع وحب الدنيا وسفك الدماء وأكل أموال الناس بالباطل، فكادوا له عند الوالى وادعوا أنه يقول انه ملك اليهود، وانهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية، فأرسل الوالى الجند للقبض عليه، وما أن هموا بأخذه حتى ألقى الله شبهه على أحد تلاميذه وهو يهوذا الأسخريوطى ، فأخذوه وصلبوه وقتلوه ، وأنجى الله عيسى ورفعه اليه ، وأشاعوا القالة بين الناس أن عيسى قتل ، والحق أنهم ما قتلوه ولا صلبوه ولكن شبه لهم ، وما كان ذلك عن يقين وإنما كان ظنا ممزوجا بالشكوك ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما»

* * *

فيا أتباع المسيح عليه السلام : كيف نسيتم ما رمى به بنو إسرائيل مريم الطاهرة وما اضطهدوا به المسيح ، وماهموا أن ينالوه به ، فأغدقتم عليهم السلاح والمال ؟ وبأى وجه ما لأتم من لا عهد لهم ولا ذمة على العرب الذين نصروكم فى حربين عالميتين ، ولولا جهودهم لكنتم الآن فى الغابرين الهالكين ؟

إن المسيح عليه السلام يتبرأ إلى الله مما تصنعون ما

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

السفير الأزهرى

للأزهر سفارات إلى كثير من أقطار العالم يرجع تاريخها إلى بعيد عهد إنشاء الأزهر ، فقد رحل بعض علمائه إلى كثير من أقطار العالم، ينشرون دعوة القرآن ولغة القرآن ، ويبشرون برسالته ، فلقوا من شعوبه من الحفاوة والتقدير ما يناسب مهمتهم ويليق بسفارتهم ، وليس هناك أكرم ولا أشرف من تبليغ دعوة الإسلام والتعريف بها .

وعلى كواهل هؤلاء السفراء قام مجد مصر، وبعد صيتها ، وذاعت شهرتها ، فأصبحت على طول المدى أشهر دولة إسلامية فى العالم، يعترف بزعامتها ما بعد وما قرب من شعوب الشرق والغرب ، ولم يقم مجد مصر على سفارة سياسية أو اقتصادية ، وإنما قام مجدها على السفارة الإسلامية الأزهرية ، وكان من حسن حظ مصر أن يكتب لها التوفيق ، فنجح هؤلاء فى سفارتهم ، وحققوا لمصر مجدا تاريخيا حديثا وصل مجدها التاريخى القديم لعهد الفراعنة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والمتحدث فى تاريخ السفارات الأزهرية لا ينسى سفارة الإمام الشيخ محمد عبده الاضطرارية، حين نفاه الخديوى عباس من مصر ، لسلوكه سياسة تناهض سياسة القصر، فطوف فى باريس ، ولندن ، وسويسرا ، ولبنان ، وكان فى جميع هذه البلاد المثل الأعلى للسفارة العلمية والخلقية والدينية والوطنية . ففى باريس أصدر بمعاونة أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى العروة الوثقى ، وهى الصحيفة التى وقفها على الدفاع عن وطنه ، ورسم الخطط لأنهاضه وتحريره ، بل لأنهاض العالم الإسلامى جميعه وتحريره ، واحتلت مكانة مرموقة فى ميدان الصحافة ، مع قصر عهدها وضيق نطاقها وقلة إمكانياتها ، وفى بيروت كان المرشد الصالح ، والعالم العامل ، فدرس فى معاهدها ، ووعظ فى مساجدها ، وألف بعض كتبه ، وترك هناك ذكرا يتضوع شذاه ، ويعبق أريجه مدى الدهر .

وفى هذه الأيام يطوف بالعالم سفير أزهرى ، وهو أول سفير رسمى اختارته الثورة لأعمال رسمية ، وسيجدد فى العالم ذكرى السفارات الأزهرية الموفقة . وكان من حظ مصر والأزهر أن يكون السفير الأزهرى الرسمى السيد أحمد الباقورى ، ذلك الرجل الذى جمع - إلى

مكتبتنا العربية

نشاط الشباب وفورة العواطف الدينية والوطنية ـ حكمة الشيوخ وحصافتهم ، كما جمع ـ إلى ذرابة اللسان وقوة البيان ـ قدرة كتابية نادرة ، وتوافرت له ثقافة دينية مستنيرة وتجارب سياسية خطيرة ، وكان لذلك خليقا أن ينجح فى سفارته ، وكان من تمام التوفيق أن تقتضى المصلحة الوطنية أن يتنقل الأستاذ الباقورى فى بلاد كثيرة ، ليكون التعريف بمصر الحديثة والأزهر الحديث أوفى وأشمل .

وستكون رحلات الأستاذ حجة قاطعة لألسنة الذين يتخرصون على الأزهر فى أن رسالته انتهت ، وأن الحاجة إليه قد فرغت ، وأن التعليم فيه بلا هدف ولغير غاية .

إن نجاح الأستاذ الباقورى فى سفارته الرسمية يرجع أكبر الفضل فيه إلى الأزهر وإلى شهرته الدينية والثقافية . فلقد كان له فى رحلاته صفتان : صفة رسمية مصرية عامة ، وصفة أزهرية إسلامية خاصة ، وقد تظاهرت الصفتان على نجاحه . فبحب الأزهر ورجاله تدافعت الشعوب إلى استقباله وتكريمه ، وبحب مصر وثورة مصر ونهضة مصر تنافست الحكومات فى الترحيب به والتقدير لرسالته ، ولا شك أن الأستاذ الباقورى قد لمس ذلك فاغتبطت نفسه ، وانشرح صدره ، فزاد اعتزازه بمعهده ، وتضاعف حبه له ، وقويت رغبته فى التحفى به والعمل على إنهاضه .

إننا نتوقع أن تجنى مصر من سفارة الباقورى إلى الأقطار التى سفر إليها أرباحا سياسية وأدبية ، فالباقورى سياسى حصيف تمرس بأساليب السياسة وخاض غمارها وذاق حلوها ومرها ، وامتحن بها ولم يسلم من محنها ، فإذا دخل من أبواب السياسة الضيقة كان على علم بها وبصر بمذاهبها وخرج منها ظافرا ، أما الربح الأدبى فهو فى ذلك التقارب الذى سيحققه بين مصر وبين الشعوب التى وفد إليها وتحدث إلى جماهيرها بلسان الزعيم الدينى الذى تحرر من قيود الوظيفة وتقاليد السياسة ، فصور لها عواطف مصر وأمانيها ورغبتها فى التعاون معها على إنهاضها وتحريرها ، وهو إذ يعود إلى مصر فسيصور للشعب المصرى أمانى تلك الشعوب وعواطفها وآمالها فى مصر ، فيربط بينها برباط المحبة والمودة والرغبة الصادقة فى التعاون على مافيه الخير للجميع فى سائر الميادين .

وسيكون للأزهر من هذه الزيارات حظ خاص يضاف إلى ما ستفيده مصر عامة منها ، فمن بين ماسيضعه الوزير بين أيدى المسئولين ما لمسه فى تلك الأقطار من تقدير للأزهر ورسالته ، وشدة تعلقهم به ورغبتهم فى الاستفادة منه ، وأنه الرباط المقدس بين مصر وكثير من الشعوب الإسلامية فى الشرق والغرب ، به تتعلق أنظارهم ، وإليه تهفو قلوبهم . وأن التعليم به نوع من التعليم لا تغنى عنه جامعات العالم قديمها وحديثها ، وسيكون ذلك باعثا

مكتبتنا العربية

لأولى الشأن على مضاعفة العناية به ، وتهيئة الوسائل اللازمة للمضى فى رسالته .

وربما كان من نتائج رحلات السيد الباقورى أن يفكر القادة فى الاستفادة من السفارة الأزهرية إلى بعض الشعوب ، وقد يرون أنها أجدى على مصر من غيرها ، فالسفير الأزهرى بطبيعة ثقافته وتقاليده الخلقية أقرب إلى قلوب الكثرة الغالبة فيها وإلى عواطفهم ، وأن الأنس به والثقة فيه أوفى من الثقة بغيره .

وفى الجملة فسيخرج السيد الباقورى من رحلاته المتعددة بتجارب ومعلومات قد تكون أساسا صالحا لوضع علاقات جديدة بين مصر وغيرها من الشعوب ، أو لتعديل بعض هذه العلاقات على ضوء الخبرة والمعرفة الشخصية ، وستأخذ رحلاته مكانها فى تاريخ الرحلات الأزهرية التى تفاخر بها مصر ويفاخر بها الأزهر ما

أبو الوفا المراغى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الوطن العربى الاكبر

(وطن واحد) لأبناء (سام) عربى فى خطوه ومجاله
كفلته الصحراء شرقا وغربا حين فت الأعداء فى أوصاله
ليس (عمرو) و (خالد) غير قطبين أطلا منه على آماله
بعثاه بعثا جديدا أرانا ضوء مجد مخلد فى مثاله
هجرة إثر هجرة من صحارى كن أصلا للبحر فى جياله
ملأت أفقه بآمال مجد فمشى البحر ناشطا من عقاله
مصر والشام فرعه الوارف الظل وأهل القطرين من أشباله

محمد الشربينى

مكتبتنا العربية

الرشوة من أدوائنا الخطيرة

ليس من السهل أن تقنع الرجل العابث بأنه جزء من المجموعة التى تتكون منها الأمة ، وأن الأمة ما لم تكن كتلة واحدة تعمل متضامنة متعاونة ، فلن يرجى لها رقى ولا تقدم فى الحياة الإنسانية ، فأن الفرد المتهاون فى مجد قومه ، يرى نفسه أمة وحده ، ويعمل على أن مصلحته فوق كل مصلحة ، وينشد مع الشاعر :

اذامت ظمآنا فلا نزل القطر

وإذا جاذبته القول ، فأبنت له أن النصر فى المعارك الحربية ، لا يستجيب لطالبيه حتى يكون الذين يقاتلون كالبنيان المرصوص ، وأن معركة الحياة ليست أقل خطرا من تلك المعارك الحربية ، وأن النصر فيها لابد ـ أن يكون ـ أيضا بالتكتل والمحبة ، وشعور كل فرد بأنه جزء من البنيان المرصوص ، لا يقوم البناء إلا بتضامن الجميع ، وليست مجاهدة الحياة ، والارتفاع بالأمة ، والسير بها فى طريق النهوض فى حاجة أشد من حاجتها بأن يؤدى كل عامل ما نيط به أداؤه من الأعمال على أتم الوجوه ، إذا ألقيت إليه هذا النصح أجابك : أنا و بعدى الطوفان ، وبذلك تخطو الأمة التى تسود فيها هذه الروح : روح الأثرة ، وحب الذات ، خطوات متعثرة ، مضطربة ، ربما أفضت بها إلى أوخم العواقب .

وفى الأمم معاول هدامة كثيرة ، لا يخطئها النظر السطحى ، فكل رذيلة من شأنها أن تعوق تقدم الأمة ، وأن تجعل الثقة مفقودة بين أبنائها ، فهى معول هدام ، وسوس ينخر فى عظام الأمة ، حتى يوردها موارد الهلكة ، ما لم يتداركها الله بعنايته ، فيقيض لها من أبنائها المخلصين من يضرب على أيدى العابثين .

ولعل الرشوة من أخطر المعاول التى تعمل فى هدم الأمم ، وهى كذلك من الرذائل التى تدل على دناءة النفس ، وسقوط المروءة ، وضعف الدين ، كما أنها ـ ولا شك ـ شهادة صريحة على أن الفرد لا يعمل للمجتمع ، ولا يهمه شأنه ، وأنه لا يدرك واجب الأمة نحوه ، وأن ضميره الاجتماعى ضمير ميت .

مكتبتنا العربية

ومما تكاد النفس تتقطع له أسى وحسرة أن الرشوة لا تزال عند كثير من الناس أمرا متعارفا مقبولا ، وليس أدل على ذلك من أن الجمهور نفسه لا يزال يعتقد أن صاحب المصلحة لا يمكن أن يجد سبيلا إلى قضائها ، إلا إذا مد يده لمن يملك أن يقضيها له ، وليست هذه البلوى فى أوساط الموظفين فحسب ، بل هى - مع كل أسف - شائعة فى كل وسط من أوساط الأمة . ما دام هناك صاحب حق ، ومن يملك إعطاء هذا الحق أو منعه .

وقد أحسنت الثورة أيما إحسان حين شددت العقوبة على المرتشين ، وكان أملنا قويا أن يقضى هذا الاتجاه الحازم من قادة مصر على الرشا قضاء مبرما ، ولكن ما زلنا - بالرغم من سوء العواقب التى يئول إليها أمر المرتشين - نرى آثارها باقية ، والحيل فى أخذها تجدد كل يوم .

والرشوة على أى وجه من وجوهها سحت ودناءة ، سواء كانت مالا يدفع فى سبيل إيصال حق إلى صاحبه أو منع حق عن مستحقه ، أو مالا يدفع بعد أن يقوم من عليه أداء هذا الواجب بأدائه ، أو كانت فى صورة هدية لهذا الغرض .

ولقد حدث أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا على صدقات بعض القبائل ، فلما جاء الوالى إلى رسول الله ، أمسك بعض ما معه ، وقال : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألا جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قال : مالى أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم ، وهذا لى هدية ، ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله . !

وهذا أبلغ زجر ، وأشد تحذير ، وقد صاغه الرسول فى صورة منفرة رادعة ، مهينة للمرتشى ، « ألا جلس فى بيت أمه » . ثم أبان عن نتيجة هذا العمل ، وأن صاحبه سيأتى يوم القيامة وهو يحمل فوق ظهره ما أخذه .

والرشا تجعل الأعمال فوضى ، فصاحب الحق ربما تعذر عليه الوصول إلى حقه ، والمبطل يستطيع أن يفوز بباطله ما دام يملك الوسيلة التى تجعله صاحب حق ، ومن هنا تملأ الأحقاد نفوس الناس ، وتنتشر بينهم البغضاء ، فطبيعى أن كل صاحب حق إذا لم يصل إليه حقه حتى يبذل فيه ، فأنه يرى فى العامل أو الموظف مغتصبا ، ولا ينظر

مكتبتنا العربية

إليه إلا بعين الساخط المتذمر ، ولولا الخـوف من الدين أو القانون لبطش به . ثم هذه الرشا تعطل القوانين ، وتجعلها حبرا على ورق ، لا أثر لهـا إلا فى اللوائح والدساتير ، أما فى نفس العامل ، أما فى واقع الأمر ، فهى وهم وخيال ، وحسبنا بهذا فوضى فى أعمال الأمة ونهضتها ، و إن أمة تتقطع أواصر المحبة بين أبنائها ، وتنعدم بينهم الثقة ، وتسود فى صفوفهم البغضاء ، لأمة مسكينة ، توشك ـ إن استفحل الداء ـ أن تنهار .

وما أبلغ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقربه إلى أن يسود التعاطف والحب بين الناس ، وأن تستقر أمور الأمم على وضع سليم ، وذلك حيث يقول : «اجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، و إياكم والرشا ، والحـكم بالهوى ، وأن تأخذوا النـاس عند الغضب ، فقوموا بالحق ، ولو ساعة من نهار » .

ومما هو واضح لا يحتاج إلى برهان أن النفس مجبولة على حب الخـير ، وأنها مجبولة ـ كذلك ـ على حب من يوصل هـذا الخير لهـا ، فأذا سمحت نفس العامل أو الموظف بقبول الرشوة ، أو أخذ الهدية ، فأنه يميل بطبيعة الحال إلى الراشى أو المهدى ، فينظر إلى حاجته نظرة أخرى ، فهو يعمل جاهدا لإنجازها ، ويحتال على القانون ليجد لها منفذا ـ إن سدت المنافذ ـ ولا يقلق ضميره أن يضر آخرين ، أو يعطل مصالحهم ، بل لا يعنيه عدل ولا إنصاف .

ولقد حدثوا أن بعض قضاة المهدى الخليفة العباسى جاءه يوما ، وهو خال ، فاستأذن عليه ، فلما دخل طلب منه أن يعفيه من القضاء ، وأن يقيله من ولايته ، فظن المهدى أن بعض الولاة عارضـه فى حكمه ، فقال له فى ذلك ، انه إن كان عارضك أحد لننكرن عليه ، فقال القاضى : لم يكن من ذلك شىء ، قال المهـدى : فـا سبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين : كان تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة ، وكل يدعى بينة وشهودا ، ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت ، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا ، فسمع أحدهما أنى أحب الرطب ، فعمد فى وقتنا هذا ، وهو أول أوقات الرطب ، فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوابى بدراهم على أن يدخـل الطبق على ، فلما أدخله علىّ أنـكرت ذلك ، وطردت بوابى ، وأمرت برد الطبق فرد عليـه ، فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فـا تساويا فى عينى ولا قلبى ، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فـكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع على حيـلة فى دينى فأهلك ، وقد فسد النـاس ، فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله ، وأعفنى عفا الله عنك . . . فأقاله .

مكتبتنا العربية

وعلى ذكر القضاة ونزاهتهم يحلو لى أن أذكر أن بعض قضاة مصر فى العصور الأولى لما ولى القضاء دعا امرأته ، وقال لها : كيف علمت محبتى لك ؟ قالت : جزاك الله من عشير خيرا ، قال : قد علمت ما بلينا من أمر الناس كلهم ، فأنت الطلاق ، فصاحت ، فقال : إن كلمتنى فى خصم أو ذكرتنى به ، قالوا ، فأن كانت لترى دواته قد احتاجت إلى الماء فلا تأمر بها أن تمد خوفا من أن يدخل عليه فى يمينه شىء .

ونختم هذا الحديث بأبيات الشاعر الصوفى ، وقد رأى الرشا تنتشر فى عصره فقال :

نقدت طوائف المستخدمينا فلم أر فيهم رجلا أمينا
فكتاب الشمال هم جميعا فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العيونا

ثم يقول :

أمولاى الوزير غفلت عما يتم من اللئام الكاتبينا
تنسك معشر منهم وعدوا من الزهاد والمتصوفينا
وقيل لهم دعاء مستجاب وقد ملئوا من السحت البطونا

على العمارى

أسرار الحياة

* عند ما فهمت أسرار الحياة تشوقت إلى الموت لأنه أعمق أسرار الحياة .
* من حسنات الناس أنهم لا يستطيعون إخفاء سيئاتهم طويلا .

جبران خليل جبران

مكتبتنا العربية

حقوق الانسان

والتضامن الاجتماعى

فى دستور مصر الجديد

— ١ —

١ — فى ١٦ يناير ١٩٥٦ أعلن دستور الشعب المصرى الذى وضعته الثورة من واقع الحياة المصرية والمجتمع المصرى ، جامعا بين محاسن الديمقراطية والاشتراكية ، ومبرزا للعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى ، فى قالب جديد ، يتضح منه لكل مطلع ومتمعن مدى التحول فى المجتمع المصرى من العهود المظلمة إلى عهد مضىء لامع ، ومدى الوثبة التى وصل بها هذا المجتمع إلى تحقيق أمل كبير فى سبيل الحرية والكرامة والعدالة فى مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية .

٢ — ولما كانت حقوق الإنسان المصرى من أهم ما أبرزه مشرع الدستور الجديد ، فضلا عن التقنين الصريح لمظاهر التضامن الاجتماعى ، فقد أضحت هذه الحقوق وتلك المظاهر من أحق الجوانب المضيئة فى هذا الدستور بالإعجاب والحمد ، الأمر الذى يجعل فرضا على باحثى القانون والاجتماع أن يبرزوها ويقدروها ، حتى تلقى فى مجال التطبيق والعمل ما لاقته فى مجال التقنين والصياغة من حسن أداء وعرض .

٣ — ويهمنا فى التمهيد لإبراز هذه الجوانب المضيئة فى حقوق الإنسان المصرى والأخذ بفكرة التضامن الاجتماعى أن نبدأ بالقول بأنه كان من شأن انتشار المبادىء الديمقراطية فى المجتمعات الحديثة الاعتراف للأفراد بمجموعة من الحقوق ، أطلق عليها اسم (الحقوق الفردية Droits Individuels) ، ولقد صاحب هذا الاعتراف البحث عن الأساس الذى يستوجبه تقرير حقوق خاصة بالفرد يتمتع بها فى نطاق المجتمع ويواجه بها السلطة الحاكمة فى الدولة .

مكتبتنا العربية

٤ — فقيل بأن أساس تقرير هذه الحقوق يستند إلى الأوامر الدينية التى تأمر به ، وقيل باستناده إلى القانون الطبيعى (Droit Naturel) ، ذلك القانون الذى يهتدى إلى مبادئه وقواعده كل امرئ بفطرته عن طريق توجيه العقل وإرشاده ، وقيل بأن الأساس فى تقرير هذه الحقوق إنما يرجع إلى سيادة نظرية (العقد الاجتماعى Contrat Social) التى قال بها جان جاك روسو ، ومن مقتضاها أن الناس قد اجتمعوا فى يوم من أيام التاريخ، واتفق كل منهم على أن ينزل عن جزء من حريته التامة للسلطة العامة ، حتى تقوم الدولة ، غير أن نزوله عن هذا الجزء لا يعنى نزوله عن الجزء الآخر من حريته ، لذلك استبقى لنفسه هذا الجزء الأخير ، والذى لا يعدو فى الواقع أن يكون مكونا للحقوق الفردية التى صار لا مندوحة من تمتع الفرد بها فى نطاق المجتمع — غير أن الأساس السليم فى هذا الشأن هو أن وجود الدولة منوط بقيامها بحماية الفرد فى مجتمعها ، وما دام الفرد له إدراكه وتمييزه ، فيجب أن تعترف الدولة له بهذه الحقوق الشخصية ؛ إذ أن هذا الاعتراف يضحى — والحالة هذه — ضرورة لا محيص عن تسليمها ، ليستطيع الفرد أن يباشر نشاطه وحيويته ، ويرقى بذهنه ومركزه ، مباشرة تستوجبها طبيعة الأشياء ، ويحتمها الفكر والمنطق ! .

٥ — وأول هذه الحقوق هو الحق فى المساواة المدنية (L'égalité civile) وبمقتضاها يتساوى الأفراد جميعا أمام القانون ، فلا تميز التشريعات التى تصدرها الدولة بين فرد وآخر أو تحابى طبقة دون طبقة ، وهذا ما أخذ به مشرع الدستور المصرى الجديد فى المادة ٣١ منه التى نصت على أن المصريين لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، ولا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

٦ — ومن مقتضى تلك المساواة أيضا عدم التفرقة بين الأفراد فى قيامهم بالتكاليف والأعباء العامة ، كالتكليفات العسكرية ، والالتزام بدفع الضرائب ، فلا تجبر طبقة أو فرد على دفع ضريبة لا يتساوى فى دفعها مع الآخرين من أبناء الأمة ، إلا إذا كان ذلك مما يوجبه التوزيع العادل للتكليفات المالية كما فى حالة فرض الضريبة التصاعدية ، لذلك نص الدستور الجديد فى المادة ٢٢ منه على أن (العدالة الاجتماعية) هى أساس الضرائب والتكاليف العامة ، ونص فى الوقت نفسه فى المادة ٥٩ على أن أداء الضرائب والتكاليف

مكتبتنا العربية

العامة واجب، وأن قوانين الضرائب تنظم إعفاء الدخول الصغيرة من الضرائب، بما يكفل عدم المساس بالحد الأدنى اللازم للمعيشة، كما جاء بالمادة ٩٤ منه أن إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاءها لا يكون إلا بقانون ، وأنه لا يجوز تكليف أحد أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا فى حدود القوانين الخاصة بالضرائب .

٧ — وتتمثل الحقوق الفردية كذلك فى تقرير حق الإنسان فى التمتع بحرياته ، وهذه الأخيرة على ضروب شتى ، تتعلق بعضها بالمصالح المعنوية للشخص ، ويتعلق البعض الآخر بمصالحه المادية .

٨ — والحريات الفردية الخاصة بمصالح الفرد المعنوية عبارة عن حريته فى اختيار الدين والعقيدة التى يؤمن بها ، وهى الحرية المعروفة بحرية الاعتقاد أو العقيدة Liberté de conscience ، وبما أن هذه الحرية تقتضى أن يباشر الفرد عقيدته ودينه علنا ، فلابد من تقرير العلنية فى مباشرة هذه الحرية ، وقد أطلق على حق العلنية هذا فى التشريعات المقارنة (حرية علنية الديانة Liberté de culte) وبعد أن نص الدستور الجديد فى مادته الثالثة على أن (الإسلام) هو دين الدولة المصرية ، قرر فى المادة ٤٣ منه أن (حرية الاعتقاد) مطلقة ، وأن الدولة المصرية تحمى حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقا للعادات المرعية فى مصر ، مع عدم إخلال ذلك بالنظام العام والآداب العامة .

٩ — ويدخل فى الحريات المعنوية كذلك حريتا التعلم والتعليم d'apprendre d'enseignement. والحرية الأولى تعنى حق كل امرئ فى أن يتعلم أو ألا يتعلم ، كما تعنى حق الفرد فى اختيار أساتذته الذين يفضل تلقى العلم على أيديهم ، بيد أن هذا الحق مقصور على الفرد الذى بلغ من العمر مرحلة يستطيع فيها حسن الاختيار ، لذلك يقتصر هذا الحق على البالغين الرشد من الأفراد ، وترك للدولة أن تختار للأطفال التعليم الذى يجب عليهم الانخراط فى سلكه ، لهذا قرر مشرع الدستور الجديد فى المادة ٤٨ حرية التعليم ، وقيدها بحدود القانون والنظام العام والآداب ، ورأى فى المادة ٤٩ منه أن التعليم حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بأنشاء مختلف أنواع المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجا ، وأوجب على الدولة المصرية الاهتمام — على وجه الخصوص — بنمو الشباب البدنى والذهنى والخلقى ، كما أوجب عليها فى المادة ٥٠ الإشراف على التعليم العام ، وقضى فى المادة ٥١ بأجبارية التعليم فى مرحلته الأولى .

مكتبتنا العربية

١٠ — ومن أهم الحريات المعنوية « حرية الرأى Liberté d'opinion » و بمقتضى هـذه الحرية يكون للفرد أن يعبر عن أفكاره وآرائه بأية صورة من الصور : كالكتابة والقول والتصوير وما شابه ذلك ، ملتزما فى ذلك الحدود التى يضعها القانون للمدى الذى يجب أن تكون عليه حريته فى هذا الشأن ، ومقدرة القانون فى هذا مقصورة على تحقيق المحافظة على حقوق سواه من الأفراد ، أى على النظر فى ضرورة تمتع الأشخاص الآخرين بالحرية نفسها ، ولذلك نص دستور الشعب الجديد فى المادة ٤٤ منه على كفالة (حرية الرأى والبحث العلمى) ، وقرر أن لكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو غير ذلك من الوسائل فى حدود القانون، كما قرر فى المادة ٤٥ كفالة (حرية الصحافة والطباعة والنشر) وقيدها بصالح الشعب و بحدود القانون .

١١ — وكذلك الأمر بالنسبة لحرية الاجتماع Liberté d'union ، ونعنى هذه الحرية أن للانسان حريته فى أن يجتمع بسواه من الأفراد، وأن يعرض عليه ما يشاء من آراء، بيد أنه نظرا لخطورة هذه الحرية ، فأن الدول تضع من التشريعات ما يجعلها تتلاءم مع مقتضيات الأمن والنظام العام ، ومع مقتضيات الاعتراف بها لسواه من الأفراد ، لهذا قرر مشرع الدستور فى المادة ٤٦ منه للمصريين حق الاجتماع ، وقيده بأن يكون فى هدوء و بغير حمل للسلاح ، وأعفى الاجتماع من توقفه على الإخطار السابق ، ومنع البوليس من حضور اجتماعات المصريين، كما أباح الاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات ، وقيدها بأن تكون فى حدود القانون ، وألا تكون أغراضها و وسائلها غير سلمية أو منافية للآداب .

١٢ — ويتصل بحرية الاجتماع حرية الفرد فى تكوين الجمعيات والشركات والنقابات ، وهذه حرية جديدة تنظمها تشريعات الدول الحديثة ، مع تسليمها بحرية الأشخاص فى إنشاء مثل هذه الهيئات ، ليستطيعوا — عن طريقها — التعبير عن آرائهم فى قوة تجعل لهذه الآراء سلطانها وأثرها فى تنظيم المجتمع وأوضاعه . وقد خول الدستور الجديد للمصريين فى المادة ٤٧ (حق تكوين الجمعيات) على الوجه المبين فى القانون ، وقرر فى المادة ٥٥ أن إنشاء النقابات حق مكفول . ٤

(له بقية) أحمد طه السنوسى

مكتبتنا العربية

الانشاء وديوان الانشاء

(١)

لـكلمة « صناعة الإنشاء » فى عالم الأدب ـ كما نفهم اليوم ـ معنى عام ومعنى خاص.

أما معناها العام فمزاولة الـكتابة الفنية والتبريز فيها ، و بذلك تشمل كل فنون الكتابة من مقالات و رسائل وقصص ونحوها ، والمنشئ هنا أديب ناثر ، و يطلق عليه فى عصرنا الحديث لفظ « كاتب » كما يطلق على الإنشاء نفسه لفظ « كتابة » والـكتابة أشهر ، والمراد منها الـكتابة الفنية .

ونعنى بالـكتابة الفنية حسن صوغ التراكيب اللفظية ودقته ، للدلالة على الصور الذهنية والعاطفية .

أما معناها الخاص ، فمزاولة كتابة الرسائل الديوانية ، فى ديوان الإنشاء ـ كان ـ . والمنشئ هنا أحـد موظفى الديوان المذكور ممن كان يوكل إليهم تحرير الرسائل الملوكية ، ومن كانوا يشبهونهم من قبل .

ونعنى بكتابة الرسائل اختراع صورها اللفظية للدلالة على المعانى المقصودة منها .

وهذا هو ما نفهمه من كلام القلقشندى حيث قال فى صبح الأعشى :

« وأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الـكتابة إلى تأليف الـكلام وترتيب المعانى من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمـان ، وما فى معنى ذلك ، كـكتابة الحـكم ونحوها » ، وعلى هذا الاعتبار جرى حديث القلقشندى عن الإنشاء فى كتابه المذكور .

ومن المناسب أيضا أن نذكر رأيه فى تعريف « الإنشاء » وفى الصـلة بينه و بين الـكتابة ، فلعل فيه شيئا من المخالفة ، لما تعورف عليه اليوم .

فبعد أن قال : إن « الـكتابة » لا تخرج عن أصلين هما : كتابة الإنشـاء ، وكتابة الأموال ، وما فى معناهما ، قال ما نصه :

« إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الـكتابة بصناعة الإنشـاء ، حتى كانت الـكتابة إذا أطلقت لايراد بها إلا كتابة الإنشاء ، والـكاتب إذا أطلق لايراد

مكتبتنا العربية

به إلا كاتبها . حتى سمى العسكرى كتابه : « الصناعتين : الشعر والكتابة » يريد كتابة الإنشاء . وسمى ابن الأثير كتابه : « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » يريد كتابة الإنشاء ، إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب فى زماننا بالديار المصرية اسم « الكاتب » على كاتب المال ، حتى صار الكاتب إذا أطلق لا يراد به غيره ، وصار لصناعة الإنشاء اسمان : خاص ، يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو « كتابة الإنشاء » ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو : « التوقيع » .

فأما تسميتها بكتابة « الإنشاء » فتخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذى هو أصل موضوعها ، وهو مصدر أنشأ الشيء ، إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعانى فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع ، فأصله من التوقيع على حواشى القصص [١] وظهورها ، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب الإنشاء أو كتاب الدست ، ومن جرى مجراهم ، بما يعتمد فى القضية التى رفعت القصة بسببها . ثم أطلق على كتابة الإنشاء جملة » .

وبعد أن أورد القلقشندى كلاما فى معنى التوقيع ووجوه اشتقاقه ومآخذه ، قال :

« ووجه إطلاقه على كتابة الإنشاء أنه قد تقدم أن التوقيع فى الأصل اسم لما يكتب على القصص ونحوها ، وسيأتى أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات كالولايات ونحوها ، إنما يبنى على ما يخرج من الديوان من التواقيع بخط صاحب ديوان الإنشاء أو كتاب الدست ومن فى معناهم . وحينئذ فيكون التوقيع هو الأصل الذى يبنى عليه المنشئ . وقد يكون سمى بأصله الذى نشأ عنه مجازا .

وقد يعبر عنها بصناعة الترسل ، تسمية للشيء بأهم أجزائه ، إذ الترسل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء وأعمها من حيث انه لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، بخلاف الولايات فانها مختصة بأرباب المناصب العالية دون غيرهم ، وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى ـ رحمه الله ـ تسمية كتابه : « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

* * *

(١) المراد بالقصص : القضايا والمظالم .

مكتبتنا العربية

ونستنبط من حديث القلقشندى أمورا منها :

١ — أن « الـكتابة » كانت قديما ترادف الإنشاء ، وتطلق عليه وحده . والكاتب هو المنشئ . وهـذا يمـاثل ما يعرف اليوم فى عالم الأدب ، إذ الكاتب هو الذى يديج المقالة أو القصة ونحوهما ، كما أشرنا .

٢ — وأن الـكتابة أطلقت فى زمن القلقشندى على كتابة الأموال ، و « الكاتب » حينذاك ، هو كاتب الأموال . وهذا يمـاثل ما يعرف اليوم فى دواوين الحكومة ، إذ يطلق على موظفيها لفظ « الكتاب » .

٣ — وأن « الإنشاء » بمعنى اختراع الرسائل وتحرير الولايات ، أطلق عليه فى زمن القلقشندى : « كتابة الإنشاء » هكذا بالإضافة . ولعل ذلك تمييز لهـا عن كتابة الأموال .

٤ — وأن كتابة الإنشاء كانت تطلق على كتابة الرسائل ونحوها ، داخل الديوان . أما الناس فيعرفون كتابة الرسائل ونحوها « بالتوقيع » .

٥ — وأن « كتابة الإنشاء » قد يعبر عنها بصناعة « الترسل » ويبدو أن هذا التعبير معروف فى جميع عصور الأدب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

هذا ، ولمـا كانت وظائف كتابة الرسائل أملا موموقا ، وهدفا مقصودا ، لما تضفيه من الجاه ، وما تدره من الخير ، شاعت كلمة « الإنشاء » على مزاولة الكتابة فى أى فن من فنونها ، تيمنا بأنشاء الرسائل ، و إعلانا بالتطلع

هذا ، إلى أن كتاب الديوان — غالبا — كانوا
المنشئين . فـكانوا قدوة لهم فى مسالك أساليبهم و
« الإنشاء » على صناعتهم جميعا ، وعرف غير منـ

وقـد كانت الرسائل الديوانية بوا كير الـ
وازدهارا فى الدولة الإسلامية لمسيس الحاجة إلى

وقد نبتت نابتتها أول الأمر بين يدى النبي
دعوته إلى مخاطبة أمرائه وأصحاب سراياه .
الملوك المجاورين له — فاتخذ لذلك كتابا ممـ

مكتبتنا العربية

كاتبا، يكتبون وحيه و إملاءه. وممن كتب له عليه الصلاة والسلام: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان . وكان هذان الأخيران ألزمهم له. وكانوا يكتبون ما يمليه عليه الصلاة والسلام عليهم بلا تغيير ، ذلك لأنه كلام النبوة .

وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لزيد بن ثابت : «تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تعلم العبرانية » ـ وقيل السريانية ـ فقال زيد : «نعم» . فتعلمها فى سبع عشرة ليلة . و بهذا ترى أن زيد بن ثابت كان أول كاتب سر فى الدولة الإسلامية .

ونهج الخلفاء الراشدون هـذا النهج النبوى ، فاتخذوا لأنفسهم كتابا يملون عليهم مراسلاتهم . وكتب لأبي بكر : عثمان بن عفان . وكتب لعمر : زيد بن ثابت . وكتب لعثمان : مروان بن الحكم . وكتب لعلى : عبد الله بن رافع .

وسار خلفاء بنى أمية على هذه السنة ، فكتب لمعاوية : عبد الله بن أوس الغسانى . وهكذا .

غير أن اتساع الدولة فى زمان بنى أمية ، وتعدد أجناس رعاياهم وتنوع مصالحهم ، دعاهم إلى التوسع فى إنشاء الدواوين . فكان فى جملة دواوينهم ديوان الرسائل ، وأطلق لفظ « الكاتب » على متولى كتابتها . وتعدد كتاب الخليفة ، فكان ـ مثلا ـ ممن كتب ليزيد بن عبد الملك : سعيد بن الوليد الأبرش ، ومحمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى ، وقد كتبا أيضا لهشام بن عبد الملك . وكتب له أيضا مولاه سالم أستاذ عبد الحميد بن يحيى ابن سعيد آخر كتاب بنى أمية . وكان عبد الحميد كاتبا لمروان بن محمد آخر خلفائهم .

وعلى يد عبد الحميد أصبح إنشاء الرسائل الديوانية صناعة مجيدة ذات رسوم وقوانين مرعية . وكان الخلفاء قد شغلتهم أمور السياسة عن الإملاء على كتابهم بأنفسهم ، فاستقل الكتاب بأرسال الرسائل ، وأخذت طبقة من طبقات الأدباء تبدو فى الأفق ، تلك هى طبقة الكتاب « المنشئين » . وكان آخرهم ـ كما أشرنا ـ عبد الحميد الكاتب الذى يعتبر الأستاذ الأول لكتاب الرسائل ، أطالها فى موضوعات وقصرها فى موضوعات ، ونوع فى بدئها وختامها بما يناسب الغرض منها ، وأطال فى التحميدات ، إلى غير ذلك من خصائص إنشائه ، ومهد أمام الكت سبيل بلوغ الوزارة ، بما أبرزه من أهمية صناعته .

*

مكتبتنا العربية

ولما أسس العباسيون دولتهم ، وسعوا نطاق دواوينهم ، واقتبسوا نظما فارسية أنشئوها عليها . وكان من أجلها خطرا : ديوان الرسائل ، ولا يليه إلا كل أديب ممتاز عالى الكعب فى الأدب والسياسة ، واسع الحيلة ذكى مشهور بالعلم والفضل .

وكان خلفاؤهم يوقعون على القصص والولايات ونحوها بأنفسهم ، حتى كانت خلافة هرون الرشيد ، فوكل أمر رسائله إلى وزيره يحيى بن جعفر البرمكى . فكان أول وزير ولى ديوان الرسائل ، فجلت بذلك رتبته ، وصار يحيى يوقع على الولايات والظلامات و إطلاقات الرزق والعطيات وما شابه ذلك ، وصار سنة لمن بعده من الوزراء .

غير أن هذا الوضع لم يتصل دائما ، بل ربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الرسائل تحت إشراف الوزير ، أو وليه الوزير . حتى كانت أواخر العصر ، فانفرد به رجل دون الوزير سمى « صاحب ديوان الرسائل » أو « متوليه » أو « صاحب ديوان المكاتبات » أو « متوليه » . قيل : وكان يسمى « كاتب الإنشاء » .

ولما اشتهر الديوان بديوان الإنشاء ـ ويبدو أن ذلك كان فى أواخر العصر العباسى ـ قيل لمتوليه : « صاحب ديوان الإنشاء » . وربما جمع لفظ الديوان تعظيما له ، فقيل : « صاحب دواوين الإنشاء » وقيل : « كاتم السر » .

واشتهر كثير من كتاب الرسائل فى عصر بنى العباس ، ومنهم : عبد الله بن المقفع ويحيى ابن خالد بن برمك ، وأبو أيوب المرزبانى ، والربيع بن يونس ، ويوسف بن القاسم ابن صبيح ، وأحمد بن يوسف . . . الخ .

ونهج كثير من الدول المعاصرة للعباسيين نهجهم فى اتخاذ ديوان خاص بالمكاتبات السلطانية كأموية الأندلس وبنى الأحمر ، واشتهر هناك ابن زيدون وابن الخطيب ، وكدول المغرب حيث كانوا يسمون صاحب الديوان : « صاحب القلم الأعلى » . وسمى الديوان فى الدولة السلجوقية : « ديوان الطغراء » .

محمود رزق سليم
أستاذ الأدب المساعد فى كلية اللغة العربية

(للكلام بقية)

مكتبتنا العربية

المرأة المثالية فى تقدير الاسلام

« عـود على بدء »

فى العـدد الفائت نشرنا لقراء هذه المجلة فصلا ضافيا عن المرأة ومكانها فى المجتمع ، وكيف أنها تختلف كل الاختلاف فيما تحمله من الأعباء عن الرجل ، وفى أى وضع وضعها الله حتى استأهلت ذلك الوضع بطبيعة تـكوينها وعقليتها وصلاحيتها لمـا يسرت له ، فكانت صيحة جارفة فى وجه القائلين بضرورة تحميل المرأة تلك الأعباء التى يحملها الرجل ، وبدهى أن المرأة لم تخلق إلا لتحمل عبء البيت وعبء توجيه أطفالهـا وترتيب شئونها المنزلية والتفقه الواسع الأفق فى تدبير أسرتها وتركيزها على أساس يوائم المجتمع ويساير ركب الحياة العـامة ، حتى تخصص علمـاء تربويون فى البحث عن المرأة وما تمارسه من شئون الحياة ، ولأى شىء يسرت له من تلك الشئون .

ولقد بحث الفيلسوف الألمـانى (شوبنهور) فى رسالته الخـاصة بالمرأة ، والفيلسوف العلامة جان جاك رسو ، والفيلسوف الكاتب البليغ شامفور ، ونورد هنا فقرات من آرائهم التى كان لهـا دوى فى الآذان شحذ الأذهان وأطلق الأقلام لعلماء البيان .

قال شوبنهور الألمـانى : إن من المقرر فى الأذهان أنه كلما كان الشىء متقنا دقيقا كان بطىء النمو يحتاج لزمن طويل ، والرجل لايبلغ شرف العقل وتمـام الذكاء إلا حوالى الثالثة والعشرين من عمره . أما المرأة فلا ينمو عقلها بعـد السنة الثامنة عشرة ، فلا يكون ثمت خلاف فى أنها ذات عقل صغير محدود ، وهى فى الحقيقة طفلة فى جميع أطوار حياتهـا ، لا ترى لقصر نظرها غير ما يقع تحت عينيها ولا تهتم بغير الحاضر ، وتحكم على الظاهر وتترك الحقائق ، وتفضل سفاسف الأمور على العظائم منها .

وقال (روسو) فى كتابه «جواب إلى والمبرت » : لا تميل النساء لفن من الفنون ، وهن معدومات الذكاء ، شديدات الحرص على إخفاء حقيقتهن .

مكتبتنا العربية

وقال شامفور : لم تخلق النساء إلا لمناوشة ضعفنا وجنوننا ، لا لاستلاب عقولنا وإعدام حسنا ، فأكثر ميلنا اليهن بهيمى ، أما التوافق بين الأرواح والعقول والأخلاق فضعيف جدا .

وقال نابليون كلمة جديرة بالاعتبار : « لا قيمة للنساء » .

هذا عرض يسير لآراء كبار الفلاسفة والتربويين فى أوربا . ونريد هنا أن نعرض لآراء السياسيين من الأمريكان الذين احتلوا الصدارة فى عالم الفكر وفلسفة الاجتماع وقضايا النظريات العامة فى تشكيل المجتمع ، كما احتلوا الصدارة فى السياسة الدولية العامة فى هذه الأيام ، فغير خاف على كل ملم بقضايا المجتمع تلك الآراء التى كان يجهر بها روزفلت أكبر زعيم من زعماء أمريكا السابقين : أدلى برأيه فى السياسة وفى الاجتماع وفى القضايا التربوية وفى المرأة وما يجب أن تمارسه فى حياتها وفى قضايا الشعوب ، وكان جريئا فى آرائه عن المرأة ، والمرأة فى عهده يومئذ عالمة وصحفية ومخترعة ومشرفة أحيانا على بعض الولايات الأميركية وطيارة ومغامرة ونائبة ووزيرة ـ كان ما مارسته المرأة من أكبر الحوافز على أن ينشر روزفلت رأيه فى المجلة العلمية بأمريكا حيث يقول : « أنا لا أنكر حرية المرأة ، ولكنى أستنكر أن تصل نتائج هذه الحرية إلى قطع أرزاق كثير من المتعلمين فى وظائف البلاد بسبب امتلائها بالنساء ، لا يرضينى أن أرى العمال العاطلين فى حاجة ماسة إلى أعمال يعيشون مع عائلاتهم من ورائها ، بينما هذه الأعمال تصيبها المرأة ولا يجدها الرجل لأنها تعرض نفسها بأقل الأجور فى الوقت الذى هى فيه فى غير حاجة إلى مال ، وفى الوقت الذى تكون فيه متزوجة . هذه حال تعرقل الحياة الاقتصادية والنهوض الذى نريده ، إذ يجب على المرأة المتزوجة أن تنهض بالبيت وأن تنظمه وتهيئ للأمة الأميركية رقيا فى بيتها وأسرتها ، وعلى الفتاة أن تتزوج وتعيش من كدح زوجها لا من كدح ذراعها حتى تقتصد البلاد تلك النفقات التى تدفعها للعاطلين حينما يشغلون الأعمال التى يشغلها النساء ويتسنى أن نربح من جهود المرأة فى دائرة البيت أضعاف ما نربحه من جهودها فى الأعمال الأخرى » .

غير أن كاتبا إنجليزيا هو مسة جامس دوجلانس كان بعيد النظر سديد التفكير فى قضايا المرأة . كتب عن المرأة الأمريكية فى المجلة العلمية لجامعة كمبردج ما معناه تحت عنوان الرجعية النسائية الأمريكية « هذه رجعة تعود بالحضارة إلى الوراء ، فالاستهتار بحقوق الرجل فى الزوجية وحدوث الطلاق لأوهى الأسباب وتكبيد الرجل بأفدح النفقات والمعاشات

مكتبتنا العربية

للزوجة و إرهاقه وسجنه من أجل ذلك ـ كل هذه أشياء فوضوية تجعل المدنية فى حكم البربرية ، والمرأة الأمريكية تدير عصابات المجرمين والسفاكين ولا ترهب القانون وتستغل شرائع الطلاق والزواج لمصلحة مزاجها واستعباد زوجها . وتسير وتعمل وتسهر على كيفها ، وتندفع وراء الشهوات والموبقات ، وتغرى الشبان إغراء مباشرا بارتكاب الجرائم فى سبيل حبها ، وتنشر الرذائل والفساد فى كل الأوساط . وهذه فوضى شاذة فى كل القوانين يجب تلافيها ، بتعديل مسائل الارتباط والانفصال الزوجى ومراعاة حقوق الرجل بحيث لا تزيد عنه المرأة وتستعبده وتهدده بالطلاق والنفقات ، وتتخذ الزواج ألعوبة تلهو بها ، وتجعل من الحرية سلما إلى الفوضوية الأخلاقية » .

ولعلنا بهذا العرض الغريب من نوعه قد كشفنا للقارئ عن جانب غير يسير من أقوال فلاسفة الغرب من ألمان وفرنسيين وانجليز وأمريكان ممن ضربوا فى هذه القضايا بسهم أشد ورأى أسد .

ولعلنا أيضا نهتدى بدون عناء إلى الفكرة التى نبتت فى عزيمة شيخ نهل من مناهل الحضارة الأوربية وأخذ شيئا غير يسير من ثقافتهم وحضارتهم ، فجاء إلى الأزهر شيخا ثم لم يمض وقت غير يسير حتى فكر ثم قدر ثم تدبر ، وانتهى به المطاف إلى إخراج مشروع يفتح بابا من التعليم الدينى والثقافة الإسلامية للمرأة فى الأزهر ، ويأخذ بيدها إلى حضارة مستقاة من معين الحكمة ومصدر الدين ونور اليقين .

أنوار الشرائع كلها تلاقت فى شريعة محمد بن عبد الله ، فهدت البشرية إلى أنبل الطرق ، وسلكت بها إلى أشرف الغايات ـ جاءت الشريعة لتهذيب المرأة وتعليمها تعليما منزليا وعائليا ، لأنها هى التى تبنى الأسرة ، والأسرة تبنى الجماعة ، والجماعة تبنى الطائفة ، والطائفة تبنى المجتمع ، فلابد أن يكون الفرد نواة صالحة للشعب ، يقوم على هديه ، ويتخذ من سننه وطرائقه مشكاة لا يضل معها إذا عميت السبل على الحكماء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة . ومن أصدق من الله قيلا حين يقول : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » . وإذن فشيخ الأزهر وشيخ العلماء وشيخ المسلمين فى العالمين العربى والإسلامى كان على صواب حين دعا إلى تهذيب المرأة واحتضان الأزهر لها فى كنفه ، وقيامه على تهذيبها وتربيتها تربية دينية غير وجودية وغير وثنية ، فما أعظم الفرق بين شيخ يدعو إلى الهدى والرشاد لتقويم المرأة من جميع مناحيها ، وبين قوم فى الجامعات يدعون إلى التهتك والتحلل من الفضائل ، ويكتبون فى كل يوم عن معتقداتهم وآرائهم فى المرأة بين أعمدة الصحافة العربية فى مصر وغير مصر .

عباس ط
المحامى

مكتبتنا العربية

يوم فى «هارفارد»

دعتنى جامعة « هارفارد » بأمريكا إلى الاشتراك فى « حلقة الدراسات الدولية للعلوم الإنسانية » . وهى حلقة بحث نظمتها تلك الجامعة فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٥ ، واشترك فيها خمسة وأربعون عضوا يمثلون نحو عشرين قطرا من الأقطار الأوربية والآسيوية .

وقد رحبت بالدعوة لأنى وجدت فيها فرصة يمكن الانتفاع بها أثناء العطلة الدراسية ، ورجوت فى هذه الرحلة القصيرة أن أعطى ممثلى الرأى العالمى صورة صحيحة عن مصادر الفكر الإسلامى الحديث ، ودعائم النهضة المصرية الحاضرة ، وأن أقف فى الوقت نفسه على المسارب التحتانية المتشعبة للحياة الأمريكية المعاصرة .

* * *

وصلنا نيويورك صباح اليوم الخامس من شهر يوليو الماضى ، ولم نستطع مغادرة الباخرة إلا بعد أن اجتزنا على ظهرها امتحانا دقيقا عسيرا استمر ساعات فى جو رطب حار لا يطاق . وقد كان علينا أن نجيب فى هذا الامتحان إجابات « تحريرية » وأخرى « شفوية » عن أسئلة متنوعة كثيرة ، تتصل فى جملتها بأخص أمورنا الشخصية ، وتتناول مواردنا المادية وأحوالنا الصحية ، إلى جانب معتقداتنا الدينية وميولنا السياسية . وكان لا بد لإجاباتنا من أن تكون سريعة واضحة مدعمة بالوثائق والمستندات والأرقام . . .

ولست أبالغ حين أقول إننا قد أدينا امتحانا شاقا ، قبل نزولنا إلى ميناء نيويورك ، فالحقيقة أن هذا التحقيق على ظهر الباخرة لم يكن مراجعة لأوراقنا وجوازات سفرنا ، بل كان بمثابة امتحان « الدور الثانى » الذى يعقد عندنا للراسبين فى المعاهد والجامعات ، وقد تبين لى حينئذ أننى رسبت فى امتحان « الدور الأول » الذى عقد لى فى القنصلية الأمريكية بالقاهرة ، والذى لم يقنعوا فيه بتوقيعى على أوراق الإجابة ، ولا بتقديمى عددا من صورى الفتوغرافية ، بل رأوا ضرورة الاحتفاظ عندهم بصور من بصمات أصابعى ! .

مكتبتنا العربية

والانصاف يقتضيني هنا أن أقرر أنى لم أكن العضو الوحيد الذى رسب فى دور يونيه ، فقد تبينت أن هذا الرسوب قد شمل غالبية الأعضاء الذين يمثلون عشرين دولة ، فلم ينج من « الدور الثانى » إلا أقلية من المحظوظين ، أعنى ممثلى انجلترا وتركيا والباكستان وإسرائيل .

لكن مهما يكن الباعث على هذا التحقيق الدقيق ، فقد خيل إلى بعد نجاحى فى الدورين ، أن الامريكيين ينظرون إلى « غير الامريكى » نظرتهم إلى مخلوق شاذ ، وإذن فينبغى عليه : إذا أراد أن يعتبر إنسانا ، أن يثبت أولا أنه « نسخة » من الامريكيين ، يحيا حياتهم ، ويفكر على غرارهم .

* * *

وبلغنا « هارفارد » فى المساء ، وأوينا إلى مضاجعنا بعد العشاء ، فقد كنا فيما يبدو متعبين مكدودين ، ولكن كان لا بد — قبل أن ننام — من أن نطلع على التعليمات العديدة ، وأن نملأ الاستمارات الكثيرة المتعلقة بنظام إقامتنا فى مساكن الجامعة .

وفى الصباح ذهبنا إلى مقر إدارة الحلقة ، وبعد أن أثبتنا أسماءنا وقدمنا استماراتنا ، وقرأنا التعليمات الجديدة ، أخبرونا بأنهم قد رتبوا لنا زيارة الجامعة فى صحبة دليل من خريجيها الشبان ، ليحدثنا عن تاريخها وآثارها .

وقد كنا نعلم قبل زيارة « هارفارد » أنها أقدم الجامعات الأمريكية ، وأنها أنشئت منذ نحو ثلاثة قرون ، ولكنا لم نكن نعلم أن بعض خريجيها يتحدثون عنها وينظرون إليها وكأنها أقدم جامعات الدنيا . فقد لاحظنا فى حديث دليلنا الشاب عن الجامعة الأمريكية العتيدة نغمة افتخار واضحة رنانة ، ولعل هذه النغمة كانت جديدة على أذنى ، بعد أن عشت السنين الطوال فى أقدم الجامعات الأوربية . فأخذت أسرح الفكر فى مصر وفى تاريخها الثقافى العريق ، وجعلت أسائل نفسى وأنا أستمع إلى الدليل الأمريكى :

« ترى لو أتيح للغربيين أن يكون لهم من معاهد العلم والتعليم مثل (جامعتنا الأزهرية) فما عساهم كانوا يصنعون ، وما عساهم كانوا يقولون » ؟ .

وأمر آخر استرعى انتباهى ، جعلنى أفكر فى مصاير بعض البلاد إذا ألقيت مقاليد الرأى والتوجيه فيها الى طوائف من الناس ، يستخفون بالقيم الأخلاقية ، ولا يرعون فى

مكتبتنا العربية

علاقاتهم مع الناس ذمة ولا عهدا ، ويدأبون على هدم الأركان الثابتة التى يقوم عليها المجتمع الانسانى الفاضل ، فقد لاحظت من ملامح الدليل ولهجة كلامه ما جعلنى أشك فى أنه أمريكى « أصيل» حتى على المعنى النسبى للفظ « الأصالة » ، وسألت عن اسم الشاب ، فأنبئت بما أكد ظنى ، فهو من يهود أوربا ، هاجر إلى أمريكا ، عندما استفحلت الحركة النازية فى ألمانيا . .

ولعلنى ، وأنا مسترسل فى هذه الخواطر عن تصوير الأمريكيين للتاريخ المصرى الحافل ، وعن أثر اليهود فى تكوين تلك الصورة الشوهاء ، وفرضها على الرأى العام هناك ، لعلنى كنت أبدو وعلى وجهى علامات القلق والتفكير والاهتمام . ولعل الدليل اذ رآنى على تلك الصورة ظننى مأخوذا مبهورا مما أسمع ومما أرى ، فاقترب منى قليلا ، وسألنى همسا : « أهذه زيارتك الأولى للولايات المتحدة ؟ فقلت » : « نعم » قال : « ومن أى البلاد جئت ؟ » قلت : « من مصر » .

فسكت الدليل لحظة ، وكأنه يستعيد ما قد حفظه فى الجامعة أو مالقنه من منشورات الدعاية الأسرائيلية عن التاريخ المصرى القديم ، ثم رفع صوته قليلا ، موجها حديثه الى ؛ وقال على مسمع من الحاضرين : « اننا ـ معشر الأمريكيين ـ لا نستطيع بالطبع أن نجارى بلادكم فى آثارها التى ترجع الى آلاف السنين ؛ والتى سخر الشعب فى بنائها تمجيدا للملوك والحكام والفاتحين ، ولكنى أرى أن جامعة كهذه ـ أنشئت منذ نحو ثلاثمائة سنة خدمة للشعب وتثقيفا له ـ أعظم قيمة من أبى الهول والأهرام بل من وادى الملوك كله ؟ أنا أرى أن قدم هذه الجامعة يجعل أمريكا أعرق فى الديمقراطية والحرية من بلادكم .

ألقى دليلنا هذا الكلام ؛ وسارع الى استئناف حديثه عن « هارفارد » كأنه ظن أنى سأتلقى أحكامه قضية مسلمة لا تقبل مناقشة أو معارضة ، فضبطت عواطفى ؛ وأستأذنت الحاضرين فى مقاطعته وقلت له : اسمع يا مستر ؛ إن كلامك الخاطف عن تاريخ مصر وعن معنى الحرية والديمقراطية هو عندى اقرب الأشياء الى الخطب الذرية أو التصريحات الهيدروجينية التى تلقى فى حملات الدعاية الانتخابية ، التى تنفق فيها الدولارات الأمريكية ، تأييدا لأغراض العصابات الصهيونية ! .

فلما ضحك الحاضرون ، استأنفت كلامى قائلا :

لا أحب أن ألجأ فى مناقشتك إلى سلاحكم الجديد هذا . ولا يجمل بى أن أحاسبك الآن كيلا أصرفك عن مهمتك المحدودة ، وهى التحدث عن هارفارد لا عن مصر .

مكتبتنا العربية

ولكنى أود أن تعلم ـ أنت وأعضاء هذه الحلقة ـ أن مصر الحديثة الثائرة تشيد كل يوم ماهو أعظم من الأهرام ومن أبى الهول . هل سمعت عن مديرية مصرية برزت الى الوجود فى قلب الصحراء ، وكانت فى طى العدم منذ ثلاث سنين؟ . وهل سمعت عن تجميل القاهرة وإصلاح القرى والثغور المصرية؟ . وهل عرفت أن سبعين مليونا من الجنيهات قد أخذت من ثروة فاروق وأسرته لتنفق فى مشروعات وأعمال يعود خيرها على الشعب كله ؟ . وإذا كان الهرم الأكبر معروفا باسم خوفو ، فالمديرية الجديدة تعرف باسم مديرية التحرير ، والتحرير عندنا ليس كلمة رخيصة خداعة تدور على كل لسان ، بل معناه خدمة الشعب وتخليصه من طغيان المماليك وعدوان الطامعين . إن مصر الثائرة لا تعيش على ما ضيها المجيد ، بل ترنو وتعمل لمستقبل أزهر وأمجد .

وتوقفت عن الكلام لحظة ، إذ سمعته يقول همسا : هذا مجرد كلام عام ! !

فأجبت على الفور : « لا يامستر . . ليس هذا كلاما مجردا بل وقائع حية ناطقة . والآن هل تسمح بأن أوجه إليك سؤالا أوسؤالين محددين متصلين بمعرفتك بوقائع التاريخ . هل تعلم أن الأسكندرية مدينة مصرية . . وأنها كانت تسمى « مدينة النور » فى العصر القديم ؟ وأن جامعتها كانت أزهر الجامعات قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ؟ وهل تعلم أنه لا يزال عندنا فى القاهرة جامعة يزيد عمرها الآن على ألف سنة ؟ وهل تعلم أخيرا أن الفكر الإسلامى قد حمل الى الإنسانية رسالة الحرية والديمقراطية قبل اكتشاف القارة الأمريكية بمئات السنين ؟

ثم توقفت قليلا ونظرت إليه متصفحا أسارير وجهه المنقبضة المكفهرة ، فتصنع الابتسام ، ثم ضحك ضحكة هستيرية ليوهم الحاضرين أننى أسأله مازحا . فلما ذكرت له أننى جاد فى كلامى ، قال : ـ

لنترك التاريخ القديم . . ولكن هل تستطيع أن تذكر لى اسم تلك الجامعة المصرية التى تقول إن عمرها ألف سنة ؟

فقلت له : ـ نعم أستطيع أن أذكر اسمها باعتزاز وفخار ، إنها (الجامعة الأزهرية) وإذا شئت أن تتحقق من صحة كلامى ، فما عليك إلا أن تراجع تاريخ الأزهر « فى الموسوعة الإسلامية التى يحررها علماء غربيون متخصصون أكثرهم من اليهود والمسيحيين » .

مكتبتنا العربية

عندئذ نظر الدليل إلى ساعته وقال :

أظن أنه قد حان وقت الغـداء . . .

فهم الأعضاء بالانصراف ، وهممت معهم ، ولـكنى حرصت على أن ألق فى أذن الدليل كلمة قبل مفارقته ، فقلت له :

إننى أشكرك شكرا جزيلا يا مستر . . . لأنك فى الحقيقة قد هديتنى من حيث لاتريد إلى موضوعات المحـاضرات التى يجب أن ألقيها على جمهور الأمريكيين فى هارفارد ، إن كان فيها أمريكيون .

فما كدت أقول هذا حتى وجدت الشاب يتودد إلىّ ، ويتشبث بى ويلح علىّ فى أن أقبل دعوته الى قضاء ساعة معه فى المقهى المواجـه للجـامعة ، ليعرفنى بصفوة المفكرين والعلماء فى هارفارد ! !

ولمـا كنت طلعة بطبعى ، فقد لبيت دعوته ، وذهبت فى الموعد إلى المقهى . . وهناك قدمنى إلى عـدد من الشبان والـكهول ، رحبوا بى ترحيبا مبالغا فيه ، ووجدتهم متلهفين على معرفة الموضوعات التى سأتحدث عنها فى محاضراتى القادمة . . . فأجبتهم بأنى سأتحدث عن مصر وعن الإسلام . . ولكنى لمـا كنت أكره السياسة ، فلن أتحدث إلا من ناحية الفلسفة والعلم . .

ودارت بيننا بعد القهوة المثلجة مناقشة ـ أردت أن تـكون هادئة ـ حول العرب وإسرائيل ، ومقاصد اليهودية العـالمية ، فقلت لهم فى آخرها : ـ

يظهر أنكم بعد أن دأبتم بأساليبكم على تضليل الرأى العـالمى قـد وجدتم فى أمريكا أرضا صالحة وفرصا سانحة ، لتنفيذ السياسة التى رسمها لـكم حكماء صهيون ! ! !

فبهتوا جميعا . وسأل واحد منهم متجاهلا أو متظاهرا بأنه لم يفهم : من هم حكماء صهيون ؟ وما هى هذه السياسة التى رسموها ؟

فقلت : إنك رجـل جامعى ، فهل ترضى أن تلقن قضايا تعيدها دون أن تفهمها ، ودون أن ترجع إلى أصولها ؟ أ ما قرأت أو سمعت عن كتاب « بروتوكولات حـكماء صهيون » ؟ قال : لم أسمع بشىء من ذلك .

مكتبتنا العربية

قلت : « إننى قرأت هذا الكتاب الذى لا يوجد طبعا فى المكتبات العامة لأن اليهود قد تخطفوه من الأسواق ، وأعدموا نسخه المطبوعة . قال : فكيف وصلت اليه إذن ؟ قلت : قرأته بالفرنسية مطبوعا على الآلة الكاتبة «إبان حرب فلسطين» ثم قرأت ترجمة عربية له نشرها أحد أدباء العرب سنة ١٩٥١ .

ما كدت أنتهى من كلامى حتى سارع الجميع متلهفين على رؤية هذه الترجمة العربية ، ومع أنى كنت فى الحقيقة قد حملت هذه الترجمة معى إلى أمريكا إلا اننى خفت أن يحتلوها منى فقلت لهم إننى تركتها فى مصر ، وسأل أحدهم عن المترجم العربى فادعيت أنى نسيت اسمه مع أنى كنت أعلم أنه الأستاذ محمد خليفة التونسى .

وسأل آخر عن مضمون الكتاب فقلت : « يحضرنى منه أشياء : استوقف نظرى مثلا ما جاء فى البروتوكول الأول من قول حكماء صهيون : «لقد أقمنا على اطلال الارستقراطية الطبيعية والوراثية ارستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطى (أى على أساس حكومة الأقلية الغنية التى تملك معظم الثروة) ، ولقد أقمنا الارستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا ، وقد عاد النصر أيسر فى الواقع ، فأننا فى صلاتنا بالناس كنا دائما نستثير مرضى ضحايانا ، من أجل المنافع ، ونحرك شرههم ونهمهم وحاجاتهم المادية . وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده أن يحطم قادة الشعب وزعماءه ، وظاهر من هذا أن حكماء اليهود يوصون قومهم بأن يسددوا ضرباتهم إلى القادة الذين هم فى الطليعة . فأذا حطموهم تحطمت الأمم والطوائف التى تتبعهم فى غير عناء . . .

ثم توقفت وساد الصمت لحظات . ولكن واحدا منهم قطعه بقوله : « ليس المسلمون هم المقصودين بهذا ، بل المسيحيون ! ! . »

فقلت له : « ولكنى أذكر أيضا قول حكماء صهيون فى البروتوكول الخامس فقد جاء فيه « لضمان الرأى العام ، يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتعبيرات من كل النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأمميون (أى غير اليهود) فى متاهتهم ، وعندئذ سيفهمون أن خير مايسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية ، هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب . . .

مكتبتنا العربية

عندئذ التفت أحدهم إلى زملائه وقال : « لابد أن يكون هذا الأستاذ المصرى مبعوثا سياسيا من قبل حكومته ، ولابد أن محاضراته ستكون سياسية ، و إن كان يتظاهر بأنه يكره السياسة . . . »

فقلت له : «صدقنى ـ يامستر ـ أننى دعيت إلى حلقة هارفارد بصفة شخصية . ولم أكن مبعوثا من حكومتنا ولا من جامعتنا ـ وكل ما فى الأمر أننى باعتبارى أستاذا جامعيا لا أحب أن أحاضر فى موضوع إلا إذا كنت درسته دراسة وافية » . قال : « وهل درست الصهيونية ؟ . » قلت : «لا ولكنى إنما ناقشتكم فيها لأتعلم منكم » .

ما ذكرته حتى الآن ليس إلا جزءا يسيرا من مشاهداتى فى يوم واحد هو أول يوم قضيته فى هارفارد . ولا يتسع المقام لذكر شىء عن مشاهداتى فى الأيام التالية ، ولا عن الموضوعات التى درسناها فى الحلقة . وجملة ما أقول أننى وجدتنى مضطرا هناك إلى استمرار القيام بوظيفة المعلم والأستاذ ، بعد أن خيل إلى أنى تركتها ورائى حين ركبت الطائرة ، ووجدتنى منذ اليوم الأول مضطرا إلى العكوف على إعداد محاضرات أربع ألقيتها خلال أربعة أسابيع : الأولى عن « لمحة إلى مجد الإسكندرية » والثانية عن « أنوار من الجامعة الأزهرية » والثالثة عن « رسالة الفكر الإسلامى » والرابعة عن « مصر الثائرة الواعية » .

وقد حرصت فى محاضراتى وأحاديثى على أن أتجنب المجادلة بقدر ما فى الإمكان ، وأن أرسم للجمهور صورة إيجابية ، متوخيا تصحيح الأخطاء وتقويم الاعوجاج . وخيل إلى أنى كنت أعطيهم دائما دون أن آخذ عنهم شيئا ، أستغفر الله ؛ لقد أخذت عنهم درسا هاما جدا لن أنساه أبدا ، وهو أن واجبنا فى هذا العالم الباغى هو أن نمضى فى طريقنا دون أن نبالى ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، وأن نعمل ، والله معنا ما

الدكتور عثمان أمين
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

مكتبتنا العربية

الامام محمد عبده والأزهر

رحم الله الإمام وطيب ثراه؛ لقد جاهد طويلا من أجل الأزهر الشريف ، وإن عاش فى صراع عنيف مع طائفة من أبنائه ، الذين خالفوه فى وجهته ، أو تخلفوا عن هضم آرائه ؛ والأزهر هو تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التى صاحبت الأحداث وطاولت الزمان ؛ واتسمت بالذود عن الإسلام ، والعناية بلغة القرآن ، والغيرة على تراث العربية ؛ وأبناؤها طائفة من الناس يحاولون النهوض بتبعات هذه الرسالة ، وليسوا بمكان العصمة ، بل يجرى عليهم ما يجرى على البشر من السعد والبؤس ، والصواب والخطأ ، والإقبال والإدبار .

والله جل جلاله يبعث لهذا الأزهر بين الفترة والفترة من ينفخ فيه من روحه ، ويبعث فيه من عزمه ، فيرد عليه جدة شبابه ورونق إهابه ، ويدفع به إلى الأمام فيعوض مافاته خلال هجعة غلبته أو تعويق ألم به ، وكان الإمام محمد عبده أحد أولئك المجددين الأعلام . . .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

ولقد دخل محمد عبده ميدان التجديد والإصلاح ، والأزهر منكمش على نفسه ، منطو على ذاته ، لا يجد أمامه الطريق الممهد ، ولا يقتدر على إنشاء الطريق المجدد ، ومع كثرة الناقدين لهذه العزلة حينئذ قد يوجد من يلتمس لها فائدة ، وهى حفظ التراث الإسلامى والعربى من طوفان العوامل المقوضة الدخيلة ؛ فقد كان هناك الاحتلال ببلاياه ، وكانت هناك النزعات الأجنبية بخبائثها ، وكان هناك الويلات الحسية والنفسية التى تصب صبا على العرب والمسلمين ؛ فكان الأزهر حينئذ كصاحب رأس المال العزيز عليه ، الذى لايجد أمامه السوق الرائجة الصالحة لاستثمار هذا المال ، فهو يخزنه ويحرسه ، وإن تجمد وركد إلى حين ، حتى يتهيأ له المجال ، فيبدأ فى الحركة والانطلاق .

وحاول الإمام إصلاح الأزهر فى وقت اصطلحت فيه على الأزهر محن شتى ، وكثير منها لم يكن له فيها حيلة ، ولا يجد لدفعها وسيلة ، فالفقر المدقع ، وإعراض المجتمع المطبق ، وسوء الاستغلال المجرم ، وكيد الاحتلال الأثيم ، وانعدام التوجيه الصحيح ،

مكتبتنا العربية

وفتور العزائم وضيق الآفاق . كل هذه محن تلاقت وتجمعت ، فكانت أعداء خبثاء للأزهر والأزهريين ، ولمريد الخير للأزهر والأزهريين . . .

ومع ذلك أقدم الإمام على الإصلاح ، متدرعا بثقة المصلح ويقين المؤمن ، فاكتسب الكثير من الناقمين ، وكسب القليل من المؤيدين ؛ وليس بصحيح أن أبناء الأزهر كلهم كانوا حربا عليه ، وإلا لضاعت صيحاته سدى ؛ وإذا كان موقف رجل كالشيخ عليش مع الإمام عنيفا ، فقد كان موقف رجل كالشيخ العباسى منصفا ولطيفا ؛ والدروس التى تعجل الإمام بإلقائها فى الأزهر عن علوم جديدة على بيئته ، وبأسلوب غريب على طريقته ، وبجرأة مفاجئة للمألوف من محافظته ، هذه الدروس إن صدّ عنها كثيرون فقد أقبل عليها كثيرون ، وكثير من الصادين زالت عنهم هزة الحيرة أو نزعة المعارضة ، فرجعوا إلى الشيخ يستمعون ، ومن مناهله يغترفون ، وكانوا هم الطلائع للبعث فى الأزهر الحديث .

* * *

وكان الإمام عليه الرحمات يرى أن النهوض بالأزهر هو أعظم خدمة للإسلام ، لأن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين ، وكان يقرر أن هذا الإصلاح الأزهرى يحتاج إلى زمن طويل ومراحل متعددة ، وأنه إنما قبل العمل فى وظائف الحكومة لتتيسر أمامه الأسباب الموصلة إلى تحقيق إصلاحه ، كما كان يقرر أنه إذا تم إصلاح الأزهر الذى ينشده قبل وفاته ، فأنه يموت قرير العين ، ويرى نفسه سعيدا ، بل يرى نفسه ملكا ! . .

وقد حصر الإمام إصلاحه الدينى فى مجالات ثلاثة هى : الأزهر ، ومساجد الأوقاف ، والمحاكم الشرعية ، وإن شئت فقل إنه حصره فى الأزهر ، لأنه الذى يتخرج منه رجال المساجد فى الأوقاف ورجال القضاء فى المحاكم الشرعية ، وكان يرى أن إصلاح الأزهر يؤدى إلى إصلاح التربية والتعليم . وأن إصلاح الأوقاف والمساجد يؤدى إلى إصلاح الوعظ والارشاد ، وأن إصلاح المحاكم الشرعية يؤدى إلى إصلاح البيوت والعائلات ؛ وكان يؤمن بأن إصلاح هذه المجالات يؤدى إلى إصلاح الأمة كلها .

* * *

وقد بذل الشيخ ـ رضوان الله عليه ـ ما بذل من جهود فى «مجلس إدارة الأزهر» ليرد على الأزهريين كرامتهم ، وليؤمن لهم مقومات حياتهم ، فجاهر فى وجه الحاكمين قبل

مكتبتنا العربية

المحكومين بأن إصلاح الأزهر لابد من أن يكون أولا برضا شيوخه واقتناعهم وبأيديهم، وكان يسعى من وراء ذلك إلى هدفين كريمين: الأول هو الإبقاء على عزة الأزهر والاحتفاظ بكرامة أبنائه، لأنهم حملة الدين ودعاة الملة، والثانى هو ضمان الوصول بهذا الإصلاح إلى غايته، إذ لو سيق مساق الإرغام والاكراه لنبتت له المكايد والعوائق عن يمين وشمال.

ثم جاهر الإمام بأن عماد الارتكاز فى هذا الإصلاح هو النهوض بالمستوى المادى لأبناء الأزهر، وبينما كانت ميزانية الأزهر منذ قرابة سبعين عاما تعد بالمئات من الجنيهات استطاع الإمام أن ينتزع فوقها من الدولة ألفين من الجنيهات، ويا له من رقم هائل خطير فى الدولة يوم ذاك وفى ميزانية الأزهر المتواضعة جدا بوجه خاص.

* * *

وعلى الرغم من أن الإمام قد اتصل بأوساط غير أزهرية، وطعم من ثقافات غير أزهرية، واختلط بأوساط غير أزهرية، وتعلم بعض اللغات الأجنبية، ورحل هنا وهناك، واشتغل بالسياسة والوظائف الحكومية، فقد ظلت الروح الأصلية غالبة عليه، وظل هو وفيا لهذا الصبغ الأزهرى المتميز، وقد يدل على شىء من ذلك ما حدث وهو مدير للمطبوعات، فقد تجلت فيه الدقة اللغوية، حتى انه أنذر صاحب جريدة مشهورة باغلاقها إذا لم يتجنب ما يقع فيها من أخطاء لغوية ونحوية، وإذا لم يعين لها محررا صحيح اللغة قويم التعبير، وسارع صاحب الجريدة بالامتثال خوفا من الإغلاق.

وهناك موقف آخر قد يكون أدخل فى باب الدلالة على هذه النزعة الأزهرية الوفية لبيئتها المعتزة بعرفها وتقاليدها: فقد حدث وهو يشتغل فى الحكومة أن حرضه بعض الكبار على ترك عمامته إلى الطربوش، فأبى وتمنع، فاستعانوا عليه برياض باشا، وأوهموه أن الشيخ يريد أن يترك العمامة فعلا، ولكنه يحتاج إلى من يشجعه أو يطلب ذلك منه، فحادث رياض باشا الشيخ فى ذلك فعاود إباءه، ولما ألح عليه رياض قال الإمام: إن كان لا بد من ذلك فأنى سأخلع عمامتى أثناء أداء وظيفتى. ثم أعود إليها بعد ذلك. فقال له رياض: «كلا، إننى لا أرضى لك الطربوش، لأننى أحب أن يعلم الناس أنه يوجد تحت العمائم من العقول والأفهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها»!!..

مكتبتنا العربية

ومن هنا حق لكاتب سيرة الإمام ـ وهو السيد رشيد رضا ـ أن يقول : « يا لها من عمامة شرفت برأس صاحبها ، حتى حسدتها الطرابيش ، وهابتها التيجان ، وعظمتها البرانيط » ! ! . . .

ويبلغ الإمام قمة الغيرة على رسالة الأزهر حينما يجاهر منذ عشرات من السنين بأن تسخير رجـــل الدين فى الحزبية والسياسة وأهواء الحاكمين يضر الضرر البليغ بالإسلام والمسلمين، وكان يطالب للعلماء بأن لا يكون لأحد سلطة عليهم أوتأثير فيهم، حتى ولوكان الخديوى نفسه ، لئلا يغريهم بوعد أو يثنيهم بوعيد ؛ وهـذه حصانة إذا تحققت لرجل الدين الصحيح جعلته قادرا على الجهر بكلمة الحق بلا خشية من بغى أو رهبة من طغيان .

* * *

أما بعد ـ فقد آتت ثورة محمد عبده فى الأزهر أكلها ، وحققت الدفعة التى أرادها ، فصارت فى الأزهر علوم حديثة ، ولغات أجنبية ، وصلات اجتماعية ، وبعثات علمية وتعليمية ، ولـكن الإصلاح والتجديد كالموكب الدائب المسير ، والأزهر دائمـا بحاجة إلى « محمد عبده » جديد ، ليدفع به دفعة جديدة تؤتى ثمراتها من جديد ما

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

الشيخ محمد عبده فى عين شمس

ذهب الشـاعر العظيم الشيخ عبد المحسن الـكاظمى إلى عين شمس فى حياة الشيخ محمد عبده ليزوره ـ وكان منزل الأستاذ الإمام فيها ـ فلم يجده ، فترك له بطاقة كتب فيها :

قيل بدر الهدى إذا غابت الشمس علينـا يعـود فى عين شمس
فترحلت عن حمـاك وخلفت ـ لتلقاك فيـه ـ مهجة نفسى

مكتبتنا العربية

الأله والوجوديون

— ٢ —

بينا لك ـ أيها القارئ ـ فى مقالنا السابق أن مؤسس هذا المذهب ـ إن صح أن ماقاله يسمى مذهبا ـ كان يخلط فى كلامه، ويهذى هذيان المشدوه، ويأتى بأقوال لا تثبت أمام النظرة الفاحصة ، ولا تقوى أدنى قوة على الوقوف تجاه التفكير السديد والعقل الرشيد ، وإنما هى عبارات مفككة الأوصال واضحة الخبال ، ليس فيها من فكرة سديدة ، ولا نظرية حكيمة ، بل هى أخلاط مبعثرة جمعها فى عبارات متنافرة متناقضة ، ورمى بها فى أوجه الناس ليتلقفها منه من لعب بلبه الشيطان وأغراه الهوى وأضله الله .

فتلقفها منه ودعا إليها من بعده جان بول سارتر الباريسى ، وعاش يعمل لترويجها وحمل الناس عليها ، ولكنه كرئيسه يهذى هذيان المجنون ، ويفكر بأفكار المعتوهين . استمع إليه يقول : « الوجودى يرفض فكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ولا يرى غيره فى الميدان » .

الوجودى يرفض وجود الله ، لأنه لا يعترف بشىء وراء المادة ، ولا يؤمن به ، وإنما وقف به تفكيره عند حدود المادة لا يريم عنها ولا يفكر فى شىء سواها . وما أدرى ماذا يقول هذا الأبله فى نفسه التى بين جنبيه ، وروحه التى بها يحيا ويعيش ، وعقله الذى به يفهم ويفكر ؟ أكل هذا من المادة ، أو هو شىء وراءها عرفته آثاره ودلت عليه دلائله وأماراته ؟ فأن قال إنها جميعها من المادة كذبه الحس والعقل معا ، وإن قال إنها شىء وراء المادة قلنا له : وماذا يمنع أن يكون الله سبحانه كذلك وراء المادة مثل العقل والروح والنفس ؟ .

والوجودى يرفض فكرة البعث ، وهو الرجوع إلى حياة أخرى غير هذه الحياة . ومعنى هذا أن المحسن فى هذه الحياة يمر ولا يلقى جزاء إحسانه ، كما أن المسيء طول أيامه يمضى ولا يلقى جزاء إساءته من ظلمه للناس وابتزاز حقوقهم ، وهو مالا يقول به عاقل . « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » . الحق أن هؤلاء الوجوديين لا يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

مكتبتنا العربية

استمع إليه يقـول بعد ذلك : « والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة ، ولا يرى غيره فى الميـدان » وإذا طرح الوجودى ما حوله من قيم ومعتقدات الخ ، فمـاذا يبقى له ليكون إنسانا كامل الإنسانية ، أو عاقلا بين العقـلاء ؟ وإذا كانت كل القيم والآراء عنده هباء ، وليس يرى غيره فى الميدان ، فماذا له من أثر يدل عليه ، أو عمل صالح يؤتسى به فيه ؟ ليس له إلا الإباحية المطلقة والتحلل من كل خلق عظيم ، وأدب كريم : صفة البهائم والعجماوات ، ألم تره يطرح كل فضيلة ويتمسك بكل رذيلة ، ويرفض فكرة وجود الله كما يرفض فكرة البعث ، ودلائل وجوده واضحة البيان . « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » .

يقول الدكتور ا . ح . كرونين فى مقال له نشر فى مجلة المختار عـدد يناير سنة ١٩٥٦ بعنوان (لهذا آمنت) بعد أن ذكر حوادث وقعت تحت حسه جعلته يؤمن بالله ـ يقول : ونحن لا نستطيع أن نبرهن على وجود الله كما نبرهن على المعادلات الرياضية ، ولكن إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وضخامته وروعته ، فلا بد أن نفكر فى إله خالق . من ذا الذى يتطلع إلى السماء فى ليلة صيف صافية ويرى النجوم اللانهائية وهى تتألق بعيدا ، ثم لا يؤمن بأن هذا الكون لا يمكن أن يكون وليد الصدفة العمياء ؟

وعالمنا هذا وهو يدور فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة ، وفى فصول متتابعة ـ هذا العالم لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة ، قد نزعت من الشمس وألقيت فى الفضاء بلا معنى ولا سبب . ا هـ .

وقد نقل إلينا أن عالجا من الأعلاج قصد إلى خليفة المسلمين فى بغداد يطلب منه أن يحاج الإمام الأعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه ـ وقد كان عالم زمانه ـ فى وجود الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . فأرسل الخليفة إلى الإمام رضى الله عنه وكان فى الناحية الأخرى من النهر ، فأبطأ أبو حنيفة طويلا ثم أبطأ وأبطأ ، فلما وصل إلى الخليفة سأله عن سبب إبطائه فقال ـ رضى الله عنه ـ والعلج يسمع : (وكأنه كان يفهم اللغة العربية أو أن أبا حنيفة كان يعرف لغته) إنى ياأمير المؤمنين ركبت ذات الألواح والدسر لأعبر بها النهر ، فلما توسطت بها النهر إذا دسرها تنتزع وألواحها تتفرق ، فتعلقت بلوح منها وجرت فى أمرى ، وبينما أنا أفكر فى حالى الذى وصلت إليه إذا الدسر تتسمر ، والألواح تنضام

مكتبتنا العربية

وتجتمع ، وإذا السفينة تعود كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع . وما أن سمع العلج هذا القول من الإمام حتى صفق بذراعيه على جنبيه كالديك ، وظن أنه سيصيب حتما من مناظره مقتلا ، فقال فى تيه بل وقلة أدب : كذبت ، كيف يعقل أن تعود السفينة كما كانت من غير أن تمتد إليها يد صانع ؟ فقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إذا لم تعقل هذا فكيف عقلت أن هذه السماء وكواكبها والبحار وماءها والأرض وزرعها والأشجار وثمارها والأنعام وألبانها والعيون وأبصارها والآذان وسمعها خلقت بلا صانع ؟ ! فبهت الذى كفر ؟ فمن لى ببهت هؤلاء الوجوديين كما بهت ذلك العلج .

ثم بعد استمع إلى سارتر يقول : « يولد كل مولود بلا سبب عقلى ، و بلا داع » ولست أدرى ماذا يريد من السبب العقلى الذى يتخيل أن المولود يولد له ؟ ليس هناك من سبب عقلى لولادة أى مولود مهما كان شأنه ، وإنما له أسباب عادية معروفة ، أما الداعى إلى ولادة المولود (ونعنى بالداعى الآثار المترتبة على ولادة المولود ، وهى المسماة بالعلة الغائية) فعمارة هذه الدنيا وابتلاء المخلوقين فيها ، كما قال ربنا جلت قدرته وعز سلطانه : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . فالداعى واضح وإن كان لا يعقله السفهاء .

ثم يقول بعد ذلك : « وتمتد حياته أى المولود بواقع من الضعف ، ثم يموت بالمصادفة » . سبحانك ربى ! هل من يقول هذا القول يعد من العقلاء المفكرين أصحاب المبادئ والنظريات ؟ هل الضعف يمد الحياة أو يطويها طيا ؟ وما معنى الموت بالمصادفة ؟ هل المصادفة هى التى تقطع الأنفاس ، وتجمد الدم فى العروق ، وتسلب الحياة سلبا ؟ وهبها كذلك ، فماذا يمنعه أن يعظمها ويجلها ويعبدها ، ولكن هذا الرجل كرئيسه مؤسس هذا المذهب — غلبت عليه شقوته ، وجعلت على قلبه أكنة منعته الفهم والتعقل ، وماذا ينتظر من رجل يقول : (إننا والعالم كله خداع فى خداع) يا ليت شعرى من المخادع (بكسر الدال) ومن المخادع (بفتحها) ؟ وهل هناك شىء أقوى دلالة على هذيان الرجل من هذا الذى يقوله ويهرف به ، لو أراد بهذا القول ما يريده بعض الفلاسفة الإسلاميين (وإن لم يأتوا بمثل هذه العبارة) من أن الوجود الحق هو الذى لا يلحقه عدم لا قبل ولا بعد ، وهذا ليس إلا لله وحده ، أما غيره من الموجودين فوجوده مستعار لا قرار له ولا ثبات حيث سبقه العدم ويلحقه العدم ، لو قال هذا لأقررناه عليه واتبعناه فيه ، ولكنه بكل جرأة وسفاهة

مكتبتنا العربية

ينكر وجود الله سبحانه، ويرفض فكرة وجوده ، وتبعه فى ذلك خلق كثير ضلت أفكارهم وضعفت عقولهم ، فعموا وصموا واتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله فهم لا يهتدون .

رب ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدى بها من تشاء

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ٩

(للبحث بقية)

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

السعادة فى سوريا
قبل ٦٠ عاما

فى سنتى ١٨٩٤ — ١٨٩٦ أقام الفاضل الإنجليزى مارماديوك پكثول فى سوريا قبل أن تدهمها أساليب الغرب وحضارته وأنظمته ، فكتب يصف سعادة الناس هناك، ونحن ننقله من تعريب الأستاذ ميخائيل نعيمة :

« . . . دهشت لما لقيته فى تلك الحياة من الراحة والحرية ، وقبل ذلك لم أر قط فى حياتى شعبا سعيدا ، أما هؤلاء القوم فكانوا سعداء . أجل ، قد يكونون فقراء ، غير أنهم لا يحلمون بالغنى ، ولا علم لهم بالمضاربات للكسب ، ولا يعرفون من المباريات إلا مباراة الفروسية . فأجور العمال وأجور المساكن وغير ذلك من المتاعب التى نحن نعانيها لم يسمعوا بها على الإطلاق . وليس بينهم طبقات مثلما بيننا ، فأوضعهم يخاطب أرفعهم كما لو كانا من طبقة واحدة . إن بينهم إخاء صادقا ، بقطع النظر عما يكون بينهم من تفاوت فى الرتب » .

مكتبتنا العربية

لغويات

الأُقاح : الأُقاحى . العال : العالى

الأقاحى جمع الأُقحوان ، وهو من الزهر . ويقول صاحب المصباح : إنه من نبات الربيع له نَوْر أبيض لا رائحة له . وترى أن نون « أقحوان » حذفت فى الجمع ، وقلبت الواو فى الجمع ياء لوقوعها فى الطرف إثر كسر ، فتقديره : أفاعل . وقد ورد فى الجمع الأقاحى بتشديد الياء . ومن هذا قول ذى الرمة :

تبسمن عن نور الأقاحى فى الثرى ... وفترن عن أبصار مكحولة نجل

وماتى هذا زيادة ياء قبل الآخر للتعويض من النون المحذوفة ، كما يقال فى جمع سفرجل : سفاريج ، وهذا التعويض جائز قياسا ، ولم أقف فى الأقاحى على التشديد ، فيجوز على هذا أن يقال الأقاعِى . ووزن الأقاحى - بتشديد الياء - أفاعيل . وهو فى الوجه الأول من المنقوص . فالإعراب على الياء ، وتحذف فى حالتى الرفع والجر عند التجرد من أل المعرفة والإضافة . فتقول : هذه أقاحٍ ، ونظرت إلى أقاحٍ . وتثبت الياء فى غير ذلك فتقول : قطفت أقاحى ، وهذه الأقاحى .

وقد غرّ حذف الياء فى أقاحٍ بعض المتأدبين فظن أن آخر الكلمة الحاء وجعل الإعراب عليها ، فيقول : قطفت أقاحا . ومن هؤلاء أبو على الحسين النشار من أدباء الأندلس . فقد أورد له صاحب المغرب (٢٠ / ٣٣٨) قوله :

ألوامى على كلفى بحبى ... متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخدّ والشفتين خال ... كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى جناه فليس يدرى ... أيجنى الورد أم يجنى الأقاحا

ومن جنس هذا الخطأ فى الأقاحى قولهم : العال فى العالى . والناطق بالعال من العامة لايرى أنها من العلو ، فهو يقول : مكان عالى ، وشىء عال أى جيد ، ويفرق بينهما

مكتبتنا العربية

فى مدارج القول ، فالظن بالقائلين : العال أنهم يرون نهاية الكلمة اللام حتى لو أن الإعراب جرى فى لسانهم لقالو : اشتريت شيئا عالا ، كما قال الأديب الأندلسى : أم يجنى الأقاحا . والخطأ فى العال جرى أيضا على ألسنة المتأدبين ، فيقول القاضى تقى الدين التميمى من شعراء الريحانة :

الدون لا نرضى به والعال لا يرضى بنا

ويقول الشهاب الخفاجى فى الريحانة ٢٣٤ بعد أن أورد البيت : « والعال بمعنى العالى كقولهم : لم تُبَلْ ؛ إلا أنها لغة عامية مبتذلة » وتراه قرأ « العال » برفع اللام حتى حكم بأنها لغة عامية مبتذلة ، ولو قرأه بكسر اللام لم يكن فيه خروج عن الفصيح ، فقد ورد حذف الياء فى المنقوص المقرون بأداة التعريف ؛ كما فى قوله تعالى : فى الآية التاسعة من (سورة الرعد) : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وقول الشهاب : « كقولهم لم تبل » يريد أن العرب يقولون : لم تبال هذا الأمر ، وهذا هو الأصل ، وقد حذف الجازم حرف العلة ، ويقولون أيضا : لم تبل . وتخريج هذا أنه سكن اللام فى « تبال » تخفيفا ، أو لتوكيد أثر الجازم ؛ كأنه لم يكتف بحذف الياء له . وهذا كما فى قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، فقد قال الزمخشرى فى الكشاف : قرئ : « ألم تر بسكون الراء للجد فى إظهار أثر الجازم » . ولما سكنت اللام فى « تبال » التقت ساكنة مع ألفها ، فحذفت الألف للتخلص من الساكنين . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢/٣٩٢ « وسألته ـ يعنى الخليل ـ عن قولهم : لم أبل ، فقال : هى من باليت ، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف ، لأنه لا يلتقى ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك فى الجزم لأنه موضع حذف . فلما حذفوا الياء التى هى من نفس الحرف بعد اللام صارت عندهم كنون يكن حين أسكنت ، فأسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من يكن . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرا فى كلامهم ... وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه ويطرد » ويرى القارئ بعد هذا أن جعل الشهاب « العال » من باب « لم تبل » فى الحذف تعوزه الدقة ، فالحذف فى « لم تبل » سهله حذف حرف العلة للجزم كما ذكر سيبويه ، ومن قواعدهم أن التغيير يجرئ على التغيير ، فأما الحذف فى العال وجعل الياء نسيا وإجراء الإعراب على اللام فهذا مما يبعده عن النظير المذكور .

مكتبتنا العربية

على أن للحذف فى الأقاحى والعْال نظيرا بل نظائر ، ولـكنا نجدهـا فى الشاذ الذى لا ينبغى أن يعاج به ، فقد جاء فى كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ٤٣ : « ومن فوقهم غواشٌ ، أبو رجاء . قال ابن خالويه : هذا كقراءة الحسن : صالُ الجحيم . ومثله : وله الجوار المنشئات » يريد أن أبا رجاء قرأ فى الأية ٤١ من سـورة الأعراف : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » برفع غواش أى بضم الشين ، وأن الحسن البصرى قرأ فى الآية ١٦٣ من سـورة الصافات : إلا من هو صال الجحيم بضم اللام ، وفى الآية ٢٤ من سورة الرحمن : « وله الجوار المنشئات فى البحر كالأعلام » بضم راء الجوار . وسبيل هذا كله طرح ياء المنقوص نسيا وإجراء الإعراب على ما قبلها ، وهـذا شاذ يقتصر فيه عل ما ورد .

فقد علم الباحث خطأ الناس فى قـولهم : قطفت أقاحا . وقولهم : شىء عال على ما يتبادر من استعمالهم أن نهاية الـكلمة اللام .

أغراب : غرباء

جرى النـاس على استعمال الأغراب فى جمع الغريب . فتسمعهم يقولون : حضر فى البلد ناس أغراب ، ومصر تعنى بالأغراب وهم فيها موضع التـكريم والإجلال . وقد نقد المعنيون بتهذيب اللغة وتنقيتها هذا الجمع وأوصوا أن يقال : الغرباء .

وفى الحق أن وجـه الجمع لغريب هو الغرباء . وهو ما جاء به السماع عن العرب ، وفى الحديث : « فطوبى للغرباء » غـير أنه يمـكن تصحيح ما فشا استعماله فى الناس . وفى تصحيحه مسلـكان :

الأول : أن يحتذى فى جمع غريب على أغراب قولهم : شريف وأشراف ويتيم وأيتام وأبيل ـ وهو كاهن النصارى ـ وآبال . وفى اللسان (شرف) أن من هذا القبيل قولهم : نصير وأنصار وشهيد وأشهاد . غير أن الوارد من هـذا الباب لا يبلغ الـكثرة التى تخوله أن يكون منهجا يقاس عليه .

والمسلك الثانى : أن يكون أغراب جمع غُرُب فى معنى غريب ، وإن لم يكن هـذا اللفظ جاريا فى استعمال الناس اليوم ، ومما ورد فيه غرب ما أورده صاحب اللسان :

مكتبتنا العربية

وإنى والعيسى فى أرض مذحج غريبانْ شتى الدار مختلفان
وما كان غض الطرف منا سجية ولكننا فى مذحج غُرْبان

وهذا المنهج قياسى فالمصير إليه أولى . ويقول ابن الحاجب فى الشافية : « ونحو جنب على أجناب » فقال الرضى فى شرحها ٢ / ١٢٢ : « فعل فى الصفات فى غاية القلة ، فلا يكسر إلا على أفعال . وإنما اختاروه لخفته » .

سيّأ البلاط . صيّأ البلاط . صايع : سائع

تقول الخادم فى المنزل : سيأت البلاط . وتقول أخرى : مسحت البلاط . وهذا يعرف فى المدن المفروش أرض دورها بالبلاط من الحجر وما جرى مجراه . وأصل ذلك : صيأ . والتصييء : بل الشيء . قال فى اللسان : « وصيأ رأسه : بله قليلا قليلا . والاسم الصيئة . وصيأه : غسله ولم ينقه وبقيت آثار الوسخ فيه » . ولما كان البلاط إذا غسل لا يعدم أن يبقى فيه وسخ قيل فيه التصييء . وترى أن التحريف جاء فى هذا اللفظ من إبدال الصاد سينا . وقد أورد فى المزهر فى النوع الثانى والثلاثين من هذا الضرب قدرا صالحا . ومن ذلك السندوق فى الصندوق ، وسنجة الميزان فى صنجته ، وقولهم سيف صقيل وسقيل ، ومما جاء من هذا قولهم الفقوس والفقوص ؛ قال فى القاموس فى مادة فقس : « وكتنور : البطيخ الشامى أى الحبحب » وفى مادة فقص : « وكتنور : البطيخة قبل النضج مصرية » .

ويقول العامة للرجل المهمل لا يعنى بعمل : صايع : ويبدو أن أصله : سائع ، ومعناه : الضائع . يقال : ساع الشيء يسيع : ضاع ، ويأتى هذا فى سوء الحال ، يقال : ناقة مسياع : تصبر على الإضاعة والجفاء وسوء القيام عليها ، ويقال : ضائع سائع ، وهو من الإتباع ؛ كما يقال : حسن بسن . وقد جاء التحريف عند العامة بأبدال السين صادا ، وهو عكس ما جرى لهم فى المادة التى سبق الحديث فيها .

استدراك على « الملا »

ذكرت فى جزء جمادى الآخرة من هذه المجلة فى بحث كلمة « الملق » العاقية التى يعنى بها المتسع من الأرض أن أصلها الملا بالألف ، وهو فى العربية لما يعنى به فى العامية .

مكتبتنا العربية

وقد نبهنى أستاذنا الجليل الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر الأسبق على أنه يمكن أن تكون هى الملق فى العربية ، والملق فى العربية الصخور الملس ، واحدها ملقة ، وهى أيضا سفوح الجبال ، أو التلال المنبسطة ، والمعنى الأخير قريب من المتسع من الأرض ، ويمتاز هذا التخريج على ما ذكرته قبل بأنه ليس فيه تحريف للكلمة نسب إلى العامة ، ويمتاز ذلك بأن المعنى فى الملاهو عين ما يعنى بالكلمة فى لسان العامة .

وإنى إذ أقيد هذا أشكر لأستاذنا هذه الفائدة وأشرك معى فيها القراء ، وأسأل الله التسديد فى القول والعمل .

محمد على النجار

مشكلة الفقر والغنى

يزعمون أننا فى عصر العلم ، وفى دهر القانون ، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم . كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية ، مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به . إن مسألة الغنى والفقر وما كان من بابها لا يحلها العلم ولا القانون ، إذ هى من مواد القضاء والقدر فى إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التى تقابلها . وما دام فوق الإنسانية من السماء قوة لا تحد ، وتحت الإنسانية من القبر هوة لا تسد ، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمرا ونهيا ، وتأويل الحياة معنى وغاية . فأن لم يكن الشأن فى ذلك مقررا فى الغريزة على جهة الإيمان ، فلن يكون العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما فى باطنها ، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر إليه ، أو كالمضطر إليه وهو هارب منه ، وكل من كل فى معنى من معانى النفس لا إنسانية فيه .

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

بحـــوث

فى الحضانة

— ١ —

١ — الحضانة ـ بالفتح والكسر ـ فى اللغة : تربية الولد وكفالته [١] ، ويذكر الفيروزابادى فى القاموس أن الحضانة ـ بالكسر ـ : تربية الولد ، وأن الحضانة ـ بالفتح ـ التنحية عن الشىء [٢] ، وهذا المعنى اللغوى ـ وهو تربية الولد ـ معتبر فى مفهوم الحضانة عند الفقهاء مع زيادة بعض القيود ، فيعرفها فقهاء الحنفية بأنها : تربية الولد لمن له حق هذه التربية [٣] ، فهم لا يطلقون هذا الحق لكل أحد من الناس ، وإنما يقصرونه فى اصطلاحهم على من تربطه بالصغير صلة الرحم وأواصر القرابة القوية ، وكلما قويت هذه العلاقة فى شخص كان مقدما على غيره من الأقارب فى هذا الحق ، والحكمة فى هذا واضحة جلية ، فأن الجنين ينزل إلى هذه الدنيا لاحول له ولاطول ، ولاقوة له ولا قدرة ، ويخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا من أمر هذه الحياة التى وفد إليها بل ولا من غيرها ، فكان من الرحمة واللطف به أن يجعل له من يكفله ويقوم عليه بالرعاية والحفظ والتأديب والتربية ، وأن يكون القائم عليه ممن يتكامل فيه الشفقة والمحبة ويتوافر لديه الحنان والعطف ، حتى يدفعه ذلك إلى رعاية مصلحة الصغير والقيام عليه على أكمل وجه وأتمه ، بل كان من الرحمة به ومراعاة مصلحة الأمة أن تحتم الشريعة على ولى الأمر أن يدفع الصغير إلى من تحضنه بنفقة من بيت المال إذا عدم الصغير الأهل والأقارب [٤] ، وأوجبت عليه اختيار الثقات الأكفاء فى هذه الحالة ، ضمانا لكمال التنشئة وحسن التربية وجميل الرعاية ، ويستمر الطفل من وقت ولادته فى رعاية من يقوم عليه من الأهل

---

(١) المصباح المنير ص ١٩٣ .
(٢) القاموس المحيط حـ ٤ ص ٢١١ طبع بولاق .
(٣) حاشية ابن عابدين حـ ٢ ص ٦٥٠ طبع بولاق .
(٤) العناية حـ ٣ ص ٣١٦ .

مكتبتنا العربية

أو ممن تقيمهم الدولة لذلك حتى يصل إلى درجة يصح أن ينتقل بعدها إلى طور آخر من الرعاية والتثقيف ، فيدفع إلى صنف آخر يكون أقدر على هذا اللون من التثقيف والرعاية وبه أهدى وأدرى ، وهم الرجال الأقربون إليـه أو من تعينهم الدولة لذلك ، والشريعة بنظامها التفصيلى فى الحضانة تحيط الصغير بعنايتها من المهد ، وترعاه رعاية صالحة كاملة إلى أن يستطيع الاستقلال بنفسه غير معتمد على أحد، فيخرج للأمة فى كل جيل من يقدر على تحمل أعباء الحياة والنهوض بها على أكمل وجه وخير مثال .

٢ — وسنقتصر فى بحثنا هذا على أحكام خاصة فى الحضانة ، بعضها فى الفقه الحنفى خاصة تطبقه المحاكم على أنه أرجح الأقوال فى المذهب ، تطبيقا للمادة ٢٨٠ من لائحة المحاكم الشرعية ، مع أن للبحث فيه مجالا ، وبعضها فى الفقه المقارن كثر الكلام فيها لمطالبة بعض الهيئات النسائية بتغييرها وتعديلها بما يتفق مع أهوائها ، وهذه الأبحاث هى : (١) التبرع بالحضانة . (٢) مدة الحضانة . (٣) تخيير المحضون بين الأب والأم عند انتهاء مدة الحضانة .

١ — التبرع بالحضانة

٣ — المتبرعة بالحضانة إما أن تكون أجنبية عن المحضون وإما أن تكون غير أجنبية عنه ، ونعنى بالأجنبية : من ليس لها حق فى الحضانة ، سواء كانت قريبة غير محرم للمحضون كأن كانت بنت عم له ، أو محرما غير قريبة له كأخته من الرضاعة ، أو لا يربطها بالمحضون أى نوع من أنواع القرابة ، وعلى ذلك فغير الأجنبية هى القريبة المحرم .

٤ — فأن كانت المتبرعة غير أجنبية من المحضون كعمته أو جدته لأبيه ، وطلب من هو أولى منها بالحضانة أجرا على حضانته ، فأن المحاكم تسير فى قضائها على أن الأب إذا كان موسرا فأنه يحكم للطالبة بأجر الحضانة على الأب ، ولا تأثير لتبرع من دونها من الحاضنات ، أما إذا كان معسرا — سواء كان للصغير مال أو لا — أو كان الأب موسرا وللصغير مال ، فأن الأم تخير بين أن تحضنه بغير أجر أو تدفعه إلى المتبرعة ممن دونها فى الترتيب . والمحاكم فى قضائها بذلك تستند إلى ما فى « التنوير » وشرحه « الدر المختار » من أن هذا الحكم هو المذهب ، وإن كانت عبارتهما واردة فى فرع خاص ، وهو تبرع العمة بالحضانة مع

مكتبتنا العربية

طلب الأم أجرا عليها، إلا أن الحصكفى فى شرح « الدر المختار » قد استظهر تبعا لغيره أن العمة ليست قيدا بل كل حاضنة كذلك، ونص عبارتهما : « أو أبت أن تربيه ـ أى الأم ـ مجانا والحال أن الأب معسر والعمة تقبل ذلك أى تربيته مجانا ولا تمنعه عن الأم ، قيل للأم : إما أن تمسكيه مجانا أو تدفعيه للعمة على المذهب(١) » وكذلك ذكر هذا الحكم ابن عابدين فى رسالة : « الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة [٢] » ولكنه لم يتعرض للنص على أن هذا الحكم هو المذهب .

٥ ـ وقد علق ابن عابدين فى حاشيته « رد المحتار » على عبارة « التنوير » التى نسبت الحكم المتقدم إلى المذهب بقوله : « لم أر هـذه العبارة لغيره وإنما قالوا على الصحيح . وهذا لا يلزم أن يكون من نص المذهب بل يحتمل التخريج تأمل [٣] » .

ونزيد على تعليق ابن عابدين بأن الحكم بتخيير الأم عند تبرع من دونها بالحضانة عند إعسار الأب فقط دون يساره ثابت بطـريق التخريج ، وأن طريق تخريجه غـير سليم فى نظرنا ، وأنه لا فرق فى تخيير الأم عند تبرع من دونها بين إعسار الأب ويساره ، وأن حكم التخيير ثابت فى الحالين . ولبيان ذلك وإثباته نقول :

٦ ـ ذكر العلامة ابن نجيم فى البحر نقلا عن الوالوالجية وغـيرها أنه إذا تبرعت العمة بالحضانة وطالبت الأم بأجرة الحضانة فالصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكى الولد بغـير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة . ونص عبارته : « أما فى الحضانة ففى الوالوالجية وغيرها : رجل طلق امرأته وبينهما صبى ، وللصبى عمة أرادت أن تربيه وتمسكه من غير أجر من غـير أن تمنـع الأم عنه ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، فالأم أحق بالولد ، وإنمـا يبطل حق الأم إذا تحـكمت فى أجر الإرضاع بأكثر من أجر مثلها ، والصحيح أنه يقال للوالدة : إما أن تمسكى الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة »(٤)

---

(١) التنوير والدر المختار على هامش رد المحتار ج ٢ ص ٦٥١

(٢) الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة ج ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٣) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٤) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢

مكتبتنا العربية

وواضح جدا أن كلام الوالوالجى وغيره فى الحضانة لا فى الرضاع حيث يقول : « أما فى الحضانة » وقوله : « أرادت أن تربيه وتمسكه من غير أجر » فأن الحضانة هى التربية والإمساك عند الحاضنة، وبهذا صرح ابن عابدين فى حاشيته على الدر حيث قال : «والمراد من هذه الأجرة أجرة الحضانة كما هو مفهوم من سياق كلام المصنف تبعا للفتح والبحر والدرر ، خلافا لما فى العزمية على الدرر من أنها أجرة الإرضاع » (١) .

٧ — وقد استظهر ابن نجيم أن غير العمة من المحارم مثل العمة فقال ما نصه : «والظاهر أن العمة ليست قيدا ، بل كل حاضنة كذلك ، بل الخالة كذلك بالأولى، لأنها من قرابة الأم (٢) وقد تابعه على هذا الاستظهار علاء الدين الحصكفى فى « الدر المختار » حيث قال : « والعمة ليست بقيد فيما يظهر » (٣) . وقد أيد هذا التعميم فى الحاضنات ابن عابدين فى حاشيته بتعليقه على كلام القهستانى بقوله : « فهذا ظاهر فى أن العمة غير قيد بل مثلها بقية المحارم » (٤) .

فيتضح مما تقدم أن الحاضنة لو طلبت أجرا على الحضانة ، وتبرع من دونها من الحاضنات بالحضانة ، فأنه يقال للطالبة : إما أن تحضنيه بغير مقابل ، وإما أن تدفعيه إلى المتبرعة لتحضنه مجانا ، فأن رفضت وأصرت على الطلب كان إصرارها مسقطا لحضانتها ، سواء كان الأب موسرا أو معسرا ، وذلك لإطلاق النصوص التى ذكرناها عن الوالوالجى وغيره، فأنها لم تفصل بين يسار الأب وإعساره، ولم تتعرض لذلك ، فكانت شاملة لحالى يسار الأب وإعساره من غير تفريق بينهما ، وعلى ذلك فلو طلبت الأم أوأمها أجرا على الحضانة وتبرعت أم الأب (جدة الصغير لأبيه) أوأخت الأب (عمة الصغير)، قيل للأم أو أمها : إما أن يكون فى حضانتك مجانا وإما أن تدفعيه إلى جدته لأبيه أو عمته ، فأن رفضت حضانته مجانا وأصرت على طلب الأجر أخذ منها ودفع إلى المتبرعة ، لا فرق فى ذلك بين أن يكون الأب موسرا أو معسرا ، بشرط أن تكون المتبرعة قادرة على الحضانة وأهلا لها بأن يتوفر فيها سائر الشروط التى اشترطها الفقهاء فى أهلية الحضانة .

---

(١) حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٥١

(٢) البحر الرائق ج ٤ ص ٢٢٢

(٣) الدر المختار على هامش ابن عابدين ج ٢ ص ٦٥٢

(٤) المصدر السابق نفسه .

مكتبتنا العربية

٨ — لكن خير الدين الرملي يرى أن نص الوالوالجية وغيرها المتقدم مقيد بأعسار الأب، إذ يقول ابن عابدين في حاشيته على البحر : « قوله والصحيح أنه يقال للأم . . . الخ قال الرملي : قيده في الخانية والبزازية والخلاصة والظهيرية وكثير من الكتب بكون الأب معسرا ، فظاهره تخلف الحكم المذكور مع يساره » [١] ، وقد أفتى الخير الرملي — بناء على رأيه هذا — في محضونة لها أم أب متبرعة بالحضانة وأم أم وأب موسر ، بأن المحضون لا يدفع إلى أم الأب ليسار الأب .

٩ — وقبل أن نبحث فهم الخير الرملي تقييد الدفع إلى المتبرعة بأعسار الأب وفتواه بذلك في تنازع الجدتين نقول : إن المتقدمين من فقهاء المذهب لم ينصوا على حكم تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هي أولى منها بأجر الحضانة ولم يؤثر عنهم شيء في ذلك ؛ وأول من أثر عنه الكلام في هذا الموضوع هو قاضيخان المتوفى عام ٥٩٢ هـ، حيث تعرض في فتاويه لحكم عمة متبرعة وأب معسر وأم تطالب بأجرة الحضانة فقال : إنه يدفع للعمة بعد تخيير الأم في قبوله مجانا ، وجاراه في هذا النص صاحب البزازية وصاحب الخلاصة . وأول من تعرض لحكم تبرع الجدة لأب هو الخير الرملي المتوفى بعد ١٠١٣ هـ حيث أفتى بأن الصغير لا يدفع لأم الأب بعد التخيير إلا إذا كان الأب معسرا، مستخرجا هذا الحكم مما نص عليه في الخانية والبزازية، ولم يتعرض أحد بعده من الفقهاء لذكر حكم تبرع الجدة لأب، حتى ان تلميذه علاء الدين الحصكفي المتوفى ١٠٨٨ هـ لم يتعرض لحكم تبرع الجدة لأب في شرحيه « الدر المختار » و « الدر المنتقى » وإنما تعرض لتبرع العمة على نحو ما جاءت به الخانية ، وقد ذكر ابن عابدين في رسالة « الإبانه عن أخذ الأجرة على الحضانة » أحكام تبرع الحاضنة مفصلا، ولكنه جعل الأساس في هذا التقسيم رأى الخير الرملي وفتواه المتقدمين، ومن ذلك يظهر أن أول من تعرض لتبرع العمة هو قاضيخان، وأول من تعرض لتبرع الجدة لأب هو الخير الرملي، لا بنقله نصا فيها وإنما بالتخريج على نص الخانية وغيرها . ولكن ماقيمة هذا التخريج ؟

١٠ — وللجواب عن ذلك يجب أن نعرف أولا كيف فهم الخير الرملي أن الدفع إلى

---

(١) البحر الرائق جـ ٤ صـ ٢٢٢

مكتبتنا العربية

المتبرعة مقيد بأعسار الأب؟ وكيف خرج تقييد الدفع للجدة لأب بأعسار الأب؟وما الذى استند عليه فى هذا الفهم والتخريج ؟

يجيب الخير الرملى على هذا كله بما تضمنته فتواه على سؤال وجه إليه . ونص السؤال والجواب هكذا : « محضونة لها أم أم ، وأم أب ، وأب موسر ، هل يفرض لأم الأم أجرة على الحضانة ولو طلبتها أم الأب مجانا أم لا ؟ . فأجاب بأن أم الأم أحق فى باب الحضانة من أم الأب كما صرحوا به قاطبة ، أما أولويتها به وإن طلبتها أم الأب مجانا فالمفهوم ـ من كلام الخانية والخلاصة والظهيرية والبزازية وكثير من كتب المذهب المعتمدة ـ أنه مع يسار الأب أم الأم أولى منها لتقييدهم الدفع إلى العمة مجانا بكون الأب معسرا ، ففهم منه عدم الدفع إليها إذا كان موسرا ، وقد ذكر فى البحر : العمة ليست بقيد بل المراد بها كل من كان له حق الحضانة فى الجملة ، وقد تقرر أن مفهوم التصانيف حجة يعمل به ، فعلم بما نقلناه أولوية أم الأم على أم الأب ، حيث لم تطلب زيادة على أجر المثل » (١)

أما كلام الخانية الذى يشير إليه الخير الرملى فنصه : « صغيرة لها أب معسر وعمة موسرة ، أرادت العمة أن تربى الولد مجانا بمالها ولا تمنع الولد عن الأم ، والأم تأبى ذلك وتطالب الأب بالأجر ونفقة الولد ، اختلفوا فيه ، والصحيح أنه يقال للأم : إما أن تمسكى الولد بغير أجر وإما أن تدفعيه إلى العمة » [٢] .

فيتضح من هذا أن سند الخير الرملى فى كل من الفهم والتخريج هو نص الخانية المتقدم ونص البزازية وهو مثله ، وأن طريقه الذى اعتمد عليه فى هذا التخريج هو مفهوم التصانيف .

ونبين الآن قيمة هذا المفهوم فى ذاته وقيمته بالنسبة إلى النصوص الأخرى المخالفة له فى الحكم فنقول :

١١ — مفهوم التصانيف هو المعروف عند الأصوليين بمفهوم المخالفة ، وهو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت ، وهو أنواع : مفهوم الشرط والصفة والغاية والعدد واللقب ، ومنه عند البعض مفهوم الاستثناء والحصر بألا وإنما ، والمفهوم فى عبارة الخانية وغيرها مفهوم صفة ، لوصف الأب فى عبارتها بالأعسار ، وهذا المفهوم غير معتبر عند

(١) الفتاوى الخيرية جـ ١ ص ٦٧ .

(٢) فتاوى قاضيخان على هامش الفتاوى الهندية جـ ١ ص ٤٢٣ .

مكتبتنا العربية

فقهاء الحنفية فى النصوص الشرعية ، أما فى المؤلفات والتصانيف العلمية فقد نقل ابن عابدين ـ فى الوقف ـ وفى رسالته المسماة برسم المفتى ـ أن المتقدمين من فقهاء الحنفية لا يعتبرون هذا المفهوم أيضا ، وإنما اعتبره المتأخرون منهم [١] ، وعلى اعتبار أن قاضيخان من المتأخرين بناء على أن عصرهم يبدأ من منتصف القرن الخامس الهجرى ، وهو قد توفى فى أواخر القرن السادس ، فما الذى يفيده هـذا المفهوم ؟ . إنه يفيد عدم دفع الصغير إلى العمة إذا كان الأب موسرا بل تكون الأم أولى به من العمة ، وحينئذ يتعارض هذ المفهوم مع منطوق نص الوالوالجية وغيرها المفيد بأطلاقه الدفع إلى العمة المتبرعة سواء كان الأب موسرا أو معسرا ، أى أنه تعارض منطوق نص الوالوالجية وغيرها مع مفهوم عبارة الخانية وغيرها . فما المخلص إذن؟ . المخلص هو ماقرره الأصوليون من أنه إذا تعارض منطوق ومفهوم قدم المنطوق على المفهوم لقوة دلالة المنطوق على دلالة المفهوم ، ولا يقوى الضعيف على معارضة القوى ، وعلى ذلك فالمعول عليه هو نص الوالوالجية وغيرها المفيد بأطلاقه الدفع إلى العمة موسرا كان الأب أو معسرا .

١٢ — وقد يقال : لم لا يحمل المطلق فى عبارة الوالوالجية على المقيد فى عبارة الخانية ؟ . والجواب على هذا واضح جدا مما قرره الأصوليون من التكافؤ بين المطلق والمقيد فى القوة ، لأن التقييد إبطال لبعض أفراد المطلق ، ولا يقوى الضعيف على إبطال القوى ، ولهذا منع الحنفية الزيادة على الكتاب بخبر الواحد لعدم التكافؤ ، وهاهنا لا ينطبق عليه ذلك ، لأن التقييد هنا بالمفهوم وهو أضعف دلالة من المنطوق فلا يقوى عليه . هذا فضلا عن عدم اتحاد المصدر والقائل بين العبارتين ، فالقائل بالإطلاق غير القائل بالتقييد . والمصدر الذى نص فيه على الإطلاق وهو الوالوالجية وغيرها غير المصدر الذى يفهم منه التقييد وهو الخانية ، فليس هناك إذن ما يسوغ حمل المطلق على المقيد .

١٣ — ومما قدمناه يظهر أنه لا يوجد نص من فقهاء المذهب على تقييد الدفع إلى العمة المتبرعة بأعسار الأب ، وكل ما أمكن العثور عليه هو مفهوم بعض العبارات ، وقد عرفنا قيمة هذا المفهوم وعدم صلاحيته للتقييد . فأذا انتقلنا إلى البحث عن دليل يصلح أن يكون مقيدا من الأدلة الشرعية فأننا لا نجد ما يصلح دليلا على التقييد من كتاب

---

(١) ابن عابدين ج ٣ ص ٤٢٩ .

مكتبتنا العربية

أو سنة أو إجماع، وكل ما أمكننا العثور عليه هو بحث للخير الرملى نفسه فى مساواة الحضانة بالرضاع وقياسها عليه انتهى فيه إلى إلحاق الحضانة بالرضاع، ورتب على ذلك الحكم بجعل أجرة الحضانة فى مال الصغير إن كان له مال، كما يحكم بجعل أجرة الرضاع فى ماله، وقد نقل ابن عابدين عنه هذا البحث فى حاشيته على البحر الرائق وفى رسالة الإبانة، ونتيجة القياس المذكور تؤيد الدفع إلى العمة إذا تبرعت بالحضانة موسرا كان الأب أو معسرا، كما يدفع الصغير إلى العمة لإرضاعه إذا تبرعت بذلك موسرا كان الأب أو معسرا، كما هو حكم الأصل، والجامع توقف مصلحة الصغير على كل منهما، وذلك لأن فقهاء الحنفية جميعا يطبقون ـ فى الإرضاع ـ على أن الصغير يدفع إلى المتبرعة ولو كانت أجنبية موسرا كان الأب أو معسرا من غير تقييد بأعسار الأب، فقياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع لا بد أن يعطينا عدم التقييد كما هو حكم الأصل خصوصا على رأى الخير الرملى الذى أثبت التساوى بينهما.

١٤ — وقد يقال: هناك فارق بين تبرع العمة بالإرضاع وبين تبرعها بالحضانة، فأن عملية الارضاع عملية آليـة لا تحتاج إلى شفقة أو حنان، أما الحضانة فتحتاج إلى ذلك، وهو موجود فى الأم على سبيل الـكمال، والعمة تقل عنها فى ذلك، وعليه فلا وجه لإلحاق تبرع العمـة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع لوجود هذا الفارق، فيـكون لإلزامه بالدفع فى حال اليسار معنى معقول، وهو كون ما يدفعه الأب فى مقابل وضع الصغير عند من يشفق عليه.

والجواب عن هذا الاعتراض أن المتبرعة إن كانت إحدى الجدتين فكل منهما يتوفر فيها كمال الشفقة والحنان، باعتبار أن كلا منهما أصل للصغير وهو متفرع منها، وكمال الشفقة ينبنى على ذلك. ولهذا يقول صاحب الهداية فى تعليل انتقال الحضانة الى كل منهما: إن كلا منهما من الأمهات، ولهذا تحرز ميراثهن السدس، ولأنها أوفر شفقة للولاد(١)، وفى ذلك يقول السرخسى فى المبسوط: «ثم أصل الشفقة باعتبار الولاد وذلك للجدات دون الأخوات»[٢] وإنما قـدمت أم الأم على أم الأب باعتبار أن الحضانة وهى ضرب من الولاية تستفاد من قبل الأم لا من قبل الأب ولا علاقة لذلك بكمال الشفقة فى الجـدتين، ومما

(١) الهداية مع فتح القدير ج ٣ ص ٣١٥

(٢) المبسوط ج ٥ ص ٢١٠

مكتبتنا العربية

يؤيد ما نقول أن الجدتين تتساويان مع الأم فى كثير من أحكام الحضانة، فأن مدة الحضانة للصغيرة عند الأم أو إحدى الجدتين تختلف عنها عند غيرهن من الحاضنات ، فأن الأم والجدتين أحق بالصغيرة حتى تحيض ، أما غيرهن من الحاضنات فليس لهن حق الحضانة إلى تلك المدة ، وإنما ينتهى حقهن ببلوغ الصغيرة حد الاستغناء أو حد اشتهاء الرجال على اختلاف الروايات (١) .

و إن كانت المتبرعة غير الجدتين من المحارم كالعمة والخالة فأصل الشفقة موجود، والحنان والعطف متحققان بسبب القرابة المحرمية، وفرض المسألة كما قدمنا أن هذه المحرم أهل للحضانة وهو ما يعنينا و يعنى الصغير ، وعلى ذلك فلا مجال لوجود الفارق الذى يبطل قياس التبرع بالحضانة على التبرع بالإرضاع .

١٥ — وقد يقال: إن الدليل على التقييد بالاعسار عند التبرع بالحضانة هو الضرر المتحقق من إلزام الأب بأجرة الحضانة مع إعساره ، فدفعا للضرر عنه قيل بالتخيير عند إعساره ، وهذا الضرر غير متحقق عند اليسار لقدرته على الدفع ، فلا معنى للتخيير فى هذه الحالة، و يلزم الأب بأجرة الحضانة ،ولا يدفع المحضون إلى المتبرعة . والجواب عن ذلك أن هذا الضرر متحقق فى حال اليسار أيضا إذا ألزم بأجرة الحضانة مع تبرع من دون الطالبة من الحاضنات ، وذلك لأنه سيلزم بدفع مال لا تعود به على الصغير مصلحة زائدة لتحقق العطف والشفقة والحنان فى المتبرعة إذ الفرض أنها غير أجنبية ، وأنها أهل وقادرة على الحضانة كما قدمنا ، وحينئذ فدفع المال يكون بغير مقابل يعود على الصغير فى رعايته وحفظه أو تربيته ، فيكون إضاعة للمال ،وقد نهينا عن إضاعته بنص الحديث المتفق على صحته ، فكان الضرر متحققا فى حال اليسار أيضا، فيجب أن تخير طالبة الأجر على الحضانة عند وجود متبرعة دونها فى حال يسار الأب أيضا ما دام الدافع إلى التخيير هو الضرر ، ولا مجال للقول بعدم حصول الضرر عند اليسار بدليل أن فقهاء الحنفية قاطبة يجمعون على القول بدفع الصغير إلى المتبرعة بالإرضاع إذا طلبت الأم أجرا عليه ولو كانت المتبرعة أجنبية لا قرابة لها بالصغير ، معللين ذلك بقول الله تبارك وتعالى : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » أى لا يضار والد بألزامه بأجر المثل إن وجدت متبرعة كما فى بعض التأويلات [٢] .

---

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣١٧

(٢) البدائع ج ٤ ص ٤١ ، الزيلعى ج ٣ ص ٦٣ ، ابن عابدين ج ٢ ص ٦٩٤ .

مكتبتنا العربية

فهم يرون أن الحكم بأجر الإرضاع عند وجود المتبرعة به يعتبر ضررا بالأب، والضرر منفى بالنصوص الكثيرة ، ولا فرق فى الضرر بين إلزامه بدفع أجر الإرضاع أو أجر الحضانة عند وجود المتبرعة فيما إذا كان الأب موسرا وكانت المتبرعة من الحاضنات المحارم كما قدمنا بيان ذلك فيما سبق .

١٦ — بقى أن يقال : إن الأخذ بهذا الرأى تترتب عليه أضرار اجتماعية، لأن كل أب لا يعدم أن يسخر من تدعى التبرع فتزهد الأمهات فى تربية أبنائهن ويتركنهم إلى من لا يعتنى بشئونهم، فيفسد بذلك المجتمع، وتنهار الأسس الصالحة فيه. ولكننا نرى أن هذا نقد لا يتوجه على موضوع البحث، لأننا فرضنا أن المتبرعة لها حق الحضانة وأنها أهل له وقادرة عليه ، ومثل هذه يبعد جدا أن تهمل فى شأن من تبرعت بتربيته أو تقصر فى حفظه ورعايته ؟! ثم ما الذى يزهد الأمهات فى تربية الأبناء ما دامت تتقاضى للصغير النفقة بجميع أنواعها ؟ وما الحكم فيما إذا تزوجت أو سقط حقها فى الحضانة لسبب ما ؟ ، هل يوجه مثل هذا النقد إلى من يليها فى ترتيب الحاضنات ! ! ؟ وهل يقال : إن هذه حال ضرورة مع أنها هى التى زهدت فى حضانة ابنها بمحض اختيارها وإرادتها ؟ فالواقع أنه لا يوجد سند لهذا الاعتراض ، كما لا سند للموضوع أصلا بتقييد الدفع إلى المتبرعة بأعسار الأب فقط .

١٧ — أما إذا كانت المتبرعة أجنبية عن الصغير على النحو الذى شرحناه فى أول البحث ، فأن الصغير لا ينزع من الحاضنة ، ولو طلبت أجرا على الحضانة قضى لها بهذا الأجر ، ولا تأثير لتبرع الأجنبية مطلقا ، موسرا كان الأب أو معسرا ، وسواء كان للصغير مال أو ليس له مال ، وذلك مراعاة لمصلحة الصغير بدفعه إلى من يتوفر لديه النفقة والحنان والرعاية وهى الحاضنة دون الأجنبية ، ولا ضرر فى دفع المال هنا ، سواء كان من مال الأب إذا لم يكن للصغير مال ، أو من مال الصغير إذا كان له مال ، لأن دفعه يعود بمصلحة على الصغير ، وهى وجوده عند من تشفق وتحنو عليه وتقوم برعايته رعاية كاملة ، فدفع المال فى هذه الحالة ليس إضاعة له بل هو صرف له فى موضعه الشرعى .

١٨ — وقد يقال : لم لا يدفع الصغير إلى الأجنبية المتبرعة بالحضانة كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع؟ ولم لا يقاس تبرع الأجنبية بالحضانة على تبرعها بالإرضاع، فيدفع إليها الصغير كما يدفع إليها عند تبرعها بالإرضاع بإجماع فقهاء المذهب كما قدمنا .

مكتبتنا العربية

وردنا على هذا أن هناك فارقا كبيرا بين الحضانة والإرضاع ، فالإرضاع عملية آلية لا تستغرق إلا زمنا يسيرا، ولا تحتاج إلى ما تحتاجه الحضانة من الشفقة والحنان والعطف والرعاية ، فتستوى فيها الحاضنة والأجنبية ، فيكون تحكم الحاضنة بطلب الأجر على الإرضاع مع وجود أجنبية متبرعة مضرا بالأب إذا ألزم بدفع الأجر إلى الحاضنة ، ولا كذلك الحضانة فأنها تحتاج إلى الشفقة والحنان ، وتحتاج إلى أن تكرس الحاضنة كل وقتها ومجهودها فى رعاية الصغير والعناية به ، فيكون طلب الحاضنة الأجر فى هذه الحالة و إلزام الأب به غير مضر بالأب ، وهذا الفارق الكبير بين طبيعة الحضانة والإرضاع هو الذى يمنع الإلحاق فى هذه الحالة ، ولا يتأثر قياس الحضانة على الإرضاع فى دفع الصغير إلى المتبرعة الحاضنة عند يسار الأب كما يدفع إلى المتبرعة عند اليسار أيضا ، نقول : لا يتأثر القياس بهذا لأن هذا الفارق غير موجود فى القياس الماضى إذ كل من الحاضنتين المتنازعتين محرم للصغير يتوفر فيها ما تتطلبه الحضانة ، وليست أجنبية عنه بحال ، فيكون قياس الحضانة على الإرضاع فى هذه الحالة سليما من جميع نواحيه .

١٩ — بقى أن نقول : إن الحكم المتقدم — وهو عدم الدفع إلى الأجنبية و إلزام الأب بأجر الحضانة إذا أصرت الحاضنة على طلبه — ثابت بطريق التخريج فى المذهب ، والنص الذى خرج عليه هو نص الوالوالجية والخانية اللذين قدمناهما حيث عبر فيهما بلفظ (العمة) وهى محرم للصغير ولم يعبر فيهما بلفظ « متبرعة » حتى يشمل الأجنبية ، وفى ذلك يقول العلامة ابن نجيم فى البحر : « ولم أر من صرح بأن الأجنبية كالعمة فى أن الصغير يدفع إليها إذا كانت متبرعة والأم تريد الأجر على الحضانة ، ولا تقاس على العمة لأنها حاضنة فى الجملة ، وقد كثر السؤال عن هذه المسئلة فى زماننا ، وهو أن الأب يأتى بأجنبية متبرعة بالحضانة ، فهل يقال للأم كما يقال لو تبرعت العمة ؟ وظاهر المتون أن الأم تأخذه بأجر المثل ولا تكون الأجنبية أولى ، بخلاف العمة على الصحيح إلا أن يوجد نقل صريح فى أن الأجنبية كالعمة [١] .

وقد علق الخير الرملى على تخريج ابن نجيم بقوله : « وهو تفقه حسن صحيح ، لأن فى دفع الصغير للمتبرعة الأجنبية ضررا به لقصور شفقتها عليه ، فلا يعتبر معه الضرر فى المال لأن حرمته دون حرمته » [٢] .

---

(١) البحر الرائق جـ ٤ صـ ٢٢٢

(٢) منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين جـ ٤ صـ ٢٢٢ ، رد المحتار له جـ ٢ صـ ٦٥٢

مكتبتنا العربية

خلاصة البحث

٢٠ — ويتلخص من هذا البحث ما يأتى :

(ا) أن تبرع الحاضنة بالحضانة مع طلب من هى أولى منها أجرا عليها ليس فيه نص عن المتقدمين لا صريحا ولا تخريجا .

(ب) أن النص المأثور عن المتأخرين خاص بتبرع العمة مع طلب الأم أجرا على الحضانة، وأن النصوص الواردة فيه بعضها مقيد بأعسار الأب بطريق المفهوم وبعضها مطلق.

(ج) أن الخير الرملى هو أول من قيد النصوص المطلقة بأعسار الأب بطريق التخريج.

(د) أن تخريج الخير الرملى غير سليم لأن مفهوم نص الخانية والبزازية وغيرهما ممن اعتمد عليه لا قيمة له لمعارضته للمنطوق وهو النصوص المطلقة .

(هـ) أنه لا دليل على التقييد بأعسار الأب من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو نظر فقهى سليم أو نص صريح من أقوال فقهاء المذهب .

(و) أن القول بعدم التقييد بالإعسار فى موضوع البحث مستند إلى :

١ — نص الوالوالجية وغيرها مع عدم صلاحية غيره من النصوص لمعارضته .

٢ — توفر الشفقة والحنان عند الحاضنتين وهو المناط فى دفع الصغير إلى الحاضنة .

٣ — قياس التبرع عند يسار الأب على التبرع عند إعساره بجامع لزوم الضرر فى كل منهما كما بيناه .

٤ — قياس تبرع الحاضنة بالحضانة على تبرعها بالإرضاع بجامع لزوم الضرر فى الحالين ، فكما يدفع إلى الحاضنة المتبرعة بالإرضاع من غير تقييد بالإعسار فكذلك يدفع إليها فى الحضانة من غير تقييد .

(ز) أن تبرع الأجنبية لا يسقط حضانة الحاضنة بحال ويحكم لها بما تطلبه من أجر، وأن هذا الحكم ثابت بطريق التخريج . والله أعلم بالصواب .

عيسوى أحمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

لا تأكلوا لحم الخنزير

لا تأكلوا لحم الخنزير فقد حرمه الله فى قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » . . ولقد تضارب الفقهاء فى إيجاد أسباب للتحريم خفيت عنهم ، فلما اكتشف العلماء أن الخنزير يصاب بكثرة بدودة « السيستو سيركس » وجدوا فى هذا سببا منطقيا لحكمة التحريم .

ولكن قال المجادلون بعد ذلك : إن هذه الدودة يمكن قتلها بالغلى أو بالتبخير ، وأجابهم البسطاء بأن القرآن أنزل فى وقت لم تكن قد اكتشفت بعد إصابة الخنازير بهذه الدودة ولا طريقة الخلاص منها .

ثم قال آخرون بعد أن أظهر العلم أن الدودة التى تصيب الخنزير تصيب البقر والجاموس وغيره من الحيوانات التى أبيح أكل لحمها ، وسألوا : لماذا هذا الخلاف ؟ فأجيبوا بأن نسبة إصابة الخنازير أكثر من نسبة إصابة الحيوانات الأخرى ، وهذا القول لا يحقق رغبة المدققين من العلماء .

وأخيرا حلل علماء التغذية اللحوم كيماويا فى مختلف الحيوانات ، فوجدوا أن لحم الخنزير يحتوى على دهون أكثر من ضعفى اللحوم العادية ، وأضعاف ما يوجد فى لحوم الطيور والأسماك ، وبذلك يجد أكلة لحم الخنزير رسوب كمية كبيرة من الدهن فى جسمهم ، ووجد العلماء أيضا أن « الكولسترول » هو فضلة من فضلات الدهن يسير فى الدم بنسبة خاصة ، إذا زاد تعاطى الدهن والزبدة والزيوت زادت نسبة « الكولسترول » فى الدم .

وهذا الكولسترول هو الذى يسبب تصلب الشرايين وضيقها و إرهاق القلب وتقصير العمر . وأثبت العلماء ذلك بما لاحظوه أثناء الحرب العالمية الثانية فى النرويج التى خفضت كمية الزيوت المستهلكة فيها إلى أدنى حد — من عدم إصابة «النرويجيين» بأمراض تصلب الشرايين والأمراض القلبية على العموم . وليس معنى هذا أن يحرم عن الناس أكل الزيوت

مكتبتنا العربية

والدهون، ففائدتها عظيمة لحياة الخلايا، ولكن المقصود أن يأكلوها بقدر معلوم وكميات لا تزيد عما يطلبه الجسم للاحتراق الداخلي .

فأذا أكلها الناس ضمن لحم الخنزير دون أن يعلموا أن لحم الخنزير أكثر دهنا من اللحوم الأخرى رسب « الكولوسترول » فى جدار الأوعية الدموية ، وأحدث تصلب الشرايين وما يتبعه من أمراض قلبية ينتج عنها تقصير عمر الإنسان وتخفيض فى محصول إنتاجه ، فواجبنا بعد ظهور كل هذه الأسباب وثبوتها علميا أن نرفع صوتنا عاليا لمنع مخالفة الدين الحنيف حتى ولوخفيت عنا أسباب التحريم ، فالله خالقنا وهو العليم بما ينفعنا ، يهدينا إليه ويحله لنا ، وما يضرنا ينهانا عنه ويحرمه علينا ؛

دكتور محمد محفوظ

نذير لأمريكا

ينادي بها من قبر بنيامين فرانكلين

قبل أكثر من مائة وستين عاما خطب بنيامين فرانكلين — أحد محررى الولايات المتحدة الأمريكية — عند ما كانت أمريكا تضع دستورها ، فقال :

« هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، هو (الخطر اليهودى) . فأذا لم ينص الدستور على إقصاء اليهود عن الولايات المتحدة فأنهم (سيحكموننا) فى أقل من مائة سنة ، ويغيرون شكل حكومتنا الذى من أجله سفكنا — نحن الأمريكيين — دماءنا ، وبذلنا حياتنا . . . إنى أنبهكم إلى أنكم إذا لم تزيلوا اليهود إلى غير رجعة فأن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم » .

لقد كان هذا الصوت نذيرا لأمريكا من محررها بنيامين فرانكلين ، ولا يزال هذا الصوت يجلجل من باطن قبر فرانكلين إلى أن يسمعه الأمريكيون . . .

مكتبتنا العربية

حول ترجمة القرآن الكريم

تمهيد :

الترجمة : هى إبانة معنى كلام من لغة من اللغات بكلام آخر من لغة أخرى . قال فى المصباح : يقال ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة أخرى .

ومن المعلوم عرفا أن ترجمة أى كتاب أو رسالة تكون مساوية للأصل ومحاذيه له فى حكاية المعنى ونسبته إلى ما هو منسوب إليه فى الأصل ، فترجمة « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » تكون بلفظ من لغة أخرى يفيد الإخبار من الله بأنه أنزل القرآن فى ليلة القدر . ولا تكون الترجمة حقيقية إلا إذا اتفقت ألفاظ اللغتين فى إفادة هذا المعنى من غير زيادة ولا نقصان ، وحينئذ يجوز أن تحل الترجمة محل الأصل وتستوى اللغتان فى الاعتماد عليهما والاحتجاج بكل منهما عند الحاجة إلى العمل بهذا المعنى . ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان المترجم حاذقا للغتين واقفا على مراد المتكلم الأول من كلامه بطريق من الطرق دون الاعتماد على مجرد فهم كلامه لمعرفته بأصول لغته . وبغير ذلك تكون الترجمة تقريبية ، وتتفاوت فى القرب من الأصل والبعد عنه حسب قوة المترجم وضعفه .

والترجمة التقريبية لا تحل محل الأصل فى الاعتماد عليها فى موطن العمل المبنى على مقتضى ما تفيده النصوص ، لكن العرف العام بين الناس يعتبر الترجمة حالة محل الأصل مطلقا سواء كانت حقيقية أو تقريبية ، وسواء كانت الترجمة واحدة أو متعددة من لغة واحدة أو من عدة لغات ، وسواء كانت المتعددة متفقة أو مختلفة ، كترجمة التوراة والإنجيل ، فأنها تسمى فى العرف بالتوراة والإنجيل ، وككتاب كليلة ودمنة لبيدبا الفيلسوف الهندى ، فأن أصله باللغة الهندية وترجم إلى عدة لغات ومنها العربية ويسمى الجميع كليلة ودمنة ، وككتاب سر تقدم الإنكليز السكسونيين الذى ترجمه المرحوم فتحى زغلول ، فأنه يسمى بهذا الاسم فى ثوبه العربى كما يسمى بذلك فى ثوبه الانكليزى . وهكذا كثير من الكتب المترجمة لا يتحاشى الناس عن إطلاق اسم الأصل على الترجمة من غير تصريح بها ، وذلك لاعتقادهم أن الترجمة والأصل شىء واحد لا يختلفان إلا فى اللغة .

مكتبتنا العربية

فلو عقدت معاهدة بين دولتين مختلفتي اللسان ووضعت موادها بلغة إحدى الدولتين تشاركة أولى الأمر من الدولة الثانية العارفين بتلك اللغة ثم ترجمت الدولة الثانية تلك المعاهدة بلغتها لاتكون تلك الترجمة معتمدة عند الدولة الأولى بحيث يصح الرجوع اليها عند الاختلاف فى تطبيقها إلا إذا كانت تلك الترجمة معتمدة من تلك الدولة : بأن يوافق على نصوصها بتلك اللغة أولو الأمر منها من العارفين بلغة الدولة الثانية ، وحينئذ يستوى أصل المعاهدة وترجمتها فى كل شيء : فى الاسم ، والمراعاة فى التطبيق ، والرجوع إلى نصوص أيتهما عند الاختلاف بين الدولتين . ولكن العرف العام ـ كما قلنا ـ يعتبر الترجمة مطابقة لنفس المعاهدة ، ويسوى بين الأصل وترجمته من غير فرق ، سواء وافقت الدولة الأولى على الترجمة أو لم توافق ، لأن أهل العرف ليسوا فى معرض الاحتجاج بالنصوص والتزام الدقة فيما يستفاد منها .

القرآن الكريم :

إذا تمهد هذا فالقرآن الكريم يطلق على معنيين : أحدهما الصفة القديمة ، وهو بهذا المعنى موضع نظر علماء التوحيد ، وهذا لا كلام فيه فى موطن الترجمة . الثانى اللفظ المنزل من عند الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وهذا اللفظ عربى كما هو معلوم قال تعالى : (إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون) أول سورة يوسف ، وهو موضع نظر الأصوليين والفقهاء ، لأن منه استنباط أحكام الشريعة إما مباشرة أو بالواسطة ، وهو بهذا المعنى موضع النظر فى ترجمته إلى غير العربية ، فنقول : يستحيل عقلا ترجمته إلى لغة أخرى ترجمة حقيقية بحيث تساوى الأصل فى إفادة جميع ما قصد منه من غير زيادة ولا نقصان وفى الاعتماد والاحتجاج بكل منهما ، وتكون الترجمة حجة بين الله وخلقه كالأصل ، إلا إذا كانت الترجمة بتوقيف من الله تعالى ، وهو ما لم يكن ولن يكون قطعا .

وأما الترجمة التفسيرية ، وهى التى تكون بحسب ما يفهمه المترجم من نصه العربى ، فإن كان المترجم لها غير خبير باللغة العربية أو باللغة الأخرى التى يراد الترجمة اليها ، أو غير خبير بالأصول الإسلامية القطعية ، أو غير خبير بسنة النبى صلى الله عليه وسلم الذى عهد اليه بيان ما أنزله الله تعالى عليه من الذكر الحكيم كما قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر

لتبين للناس ما نزل اليهم) سورة النحل ، أو كان من الطوائف المبتدعة الخارجة عن الإسلام وترجم القرآن على مقتضى نحلته وهواه ، فهناك تكون الطامة الكبرى والداهية العظمى ، فأن هذه الترجمة تصوير للقرآن على غير حقيقته وتحويل لبيانه عن الطريق القويم ، وذلك كما قيل عن ترجمة الطائفة القاديانية للقرآن الكريم .

وإن كان المترجم خبيرا باللغة العربية و باللغة الأخرى ، خبيرا بأصول الإسلام القطعية ، خبيرا بالسنة النبوية المطهرة ، وليس من أهل الأهواء والبدع ، فلا يمكن أن تكون ترجمته وافية بمعظم مقاصد القرآن الكريم : أولا ـ لأن فى اللغة العربية من المزايا والخواص والاتساع ما ليس فى غيرها من اللغات ، فأن فيها الحقيقة والمجاز والكناية والاشتراك والترادف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والإضمار وغير ذلك . ثانيا ـ لأن فى القرآن الكريم من سمو المعنى وجزالة التركيب و براعة الأسلوب ما ليس فى كلام العرب ، و إن كان من جنس كلامهم ، ولذلك أعجز البشر ، قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) سورة الإسراء . ثم إنه يدل بالعبارة على منطوق وعلى مفهوم ، والمفهوم إما مفهوم موافقة ان وافق المنطوق ، أو مفهوم مخالفة إن خالفه . و يدل أيضا بدلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . وبعبارة أخرى يدل بدلالة العبارة ، ودلالة النص ، ودلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء ، ودلالة الإشارة . وفيه المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والمحكم والمتشابه ، والنص والظاهر والمؤول والمجمل والمبين وغير ذلك مما يطول شرحه ، وهذا يجعل الترجمة التقريبية ناقصة وقاصرة وغير وافية بمعظم ما يقصد من القرآن الكريم ، ومهما كانت وافية ببعض المعانى لا تكون حجة يجوز للمسلم الاعتماد عليها فى أخذ الحكم الشرعى واستنباطه ان كان أهلا لذلك ، لا للمترجم ولا لغيره . أما غير المترجم فظاهر لأنه يلزمه التقليد للمترجم ، وأما المترجم فيجب عليه إذا أراد استنباط حكم مراعاة النص العربى لأنه هو الحجة فى حقه دون الترجمة . ومع ذلك ففى الترجمة ضرر كبير وخطر جسيم ، مع أنها خالية من الفائدة ، فلا ينطبق عليها ما أخبر عنه سبحانه وتعالى فى شأن الخمر والميسر بقوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما) سورة البقرة .

مكتبتنا العربية

أما الضرر والخطر فلأمور :

أولا : لأن فيها تلبيسا على المسلمين بأنها القرآن الكريم كالنص العربى، وهى ليست كذلك بالاتفاق. ووجه التلبيس أن العرف العام يقضى بأن ترجمة أى كتاب ونفس الكتاب شىء واحد ، فأن كتاب كليلة ودمنة بالنص العربى فى نظر الناس هو كليلة ودمنة بالنص الأصلى الهندى، وكتاب سر تقدم الانجليز باللغة العربية هو بعينه كتاب سر تقدم الانكليز باللغة الانكليزية ، ولا يجدى نفعا ما يتخذ من الاحتياط فى ترجمة القرآن الكريم بالتنبيه على أنها غير القرآن ، فأن تطاول الزمن وتعدد طبع الترجمة وما يفهمه أهل العرف يكفى كله أو بعضه فى اعتبار الترجمة والأصل واحدا من غير فرق .

ثانيا : أن الترجمة قد تتعدد بعدد اللغات ، وقد تتعدد فى لغة واحدة ، وفى ذلك ضرر من وجهين : الأول أنه يقع فيها اختلاف ، وهذا الاختلاف يكون فى نظر العامة اختلافا فى القرآن ـ لا فى التراجم ـ فيكون القرآن الكريم فى معرض القبول والرد والتصحيح والابطال والعياذ بالله تعالى . والوجه الثانى أن التعدد قد يكون مثار اختلاف المسلمين فى أصل دينهم ، لأنه يكون لكل طائفة منهم قرآن بلغتهم يعتزون به، وقد ينكرون غيره ، مع ما فيه من خطر الانكار يترتب عليه ضياع حكمة إنزال القرآن بلغة واحدة ، وهى جمع المسلمين على كتاب واحد .

ثالثا : أن فتح باب الترجمة للقرآن الكريم من جهة رسمية يعتبرها المسلمون قدوة يشجع الملحدين وغيرهم على ترجمته ترجمة مشوهة ، وتختلط الترجمات فلا يفرق عوام المسلمين من غير العرب بين التراجم ، فتكون ترجمته سببا للاضلال لا للهداية ، مع أنها تحمل المسلمين غير العرب على عدم العناية بالقرآن الكريم بثوبه العربى ، وعدم تمتعهم بقدسيته العظيمة وروحانيته الباهرة .

أما إذا قفل باب الترجمة كما قفله أسلافنا الأقدمون ، وعرف لعموم المسلمين أن القرآن لفظ عربى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم معجز للبشر متعبد بتلاوته كما أنزله الله لا تجوز ترجمته ، فأن هذه التراجم لا يلتفت إليها المسلمون فتندثر ولا يكون لها اعتبار إلا عند صانعها كما هو الحال الآن ، كما أن ذلك يحمل المسلمين غير العرب على تذليل الصعاب فى سبيل تعلم اللغة العربية حتى ينعموا ببركات هذا الكتاب المبارك، ويتمكنوا من التعبد بتلاوته والاستهداء بهديه .

مكتبتنا العربية

وأما ما يقوله المناصرون للترجمة فى هذا الزمن من أن لها فائدة هى إرشاد المسلمين غير العرب الى أمور دينهم وتصحيح عباداتهم ومعاملاتهم والحيلولة بينهم وبين التراجم الفاسدة المضللة التى ينشرها بينهم المبشرون ليردوهم عن دينهم ، ودعوة غير المسلمين من غير العرب إلى الإسلام ، لأن اطلاعهم على محاسن القرآن ومزاياه بالترجمة ربما هداهم الى دين الإسلام فغير وجيه ، فأن إرشاد عوام المسلمين إلى ماذكر إنما يكون بوساطة مرشدين من أهل العلم الذين يعرفون علوم الإسلام ، سواء كان العوام المسلمون من العرب أو من غيرهم ، إلا أنه ينبغى أن يكون المرشد لغير العرب عارفا بلسانهم . أما مجرد تلاوة القرآن ولو بنصه المعزى فلا يكفى لإرشاد العوام العرب ، لعلوه عن مستواهم ، فغير العرب من باب أولى ، وكذلك دعوة غير المسلمين الى دين الإسلام إنما تثمر اذا قام بالدعوة علماء يشرحون أصول الإسلام و يبينون مزاياه ومراعاته لصوالح الناس فى الدنيا والآخرة .

فاذا رأى ولاة الأمر من المسلمين أن بعض المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية وغيرها ـ و بخاصة غير العرب ـ قد تفشى بينهم الجهل بالدين و يخشى عليهم من تأثير المبشرين ، فليبعثوا مرشدين إلى تلك البلاد ممن يعرف لغتهم و يطلبوا إلى أهل تلك البلاد أن يبعثوا من بينهم طلابا إلى الجامع الأزهر ليتعلموا علوم دينهم ، و يعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم . و بتوالى هذه البعثات من هنا وهناك يمكن أن يحصل المقصود و يزول هذا الخطر عن بلاد المسلمين .

ولو انضم إلى ذلك بذل المساعى والجهود لدى جميع الدول والطوائف الإسلامية غير العربية فى نشر اللغة العربية بينهم ، واعتبارها لغة رسمية بين المسلمين فى جميع الأقطار ، كان ذلك خيرا عظيما ، لأنها لغة الدين ، ولا يمكن الوقوف عليه من جميع الوجوه إلا بإتقان اللغة العربية .

وقد كان حال المسلمين فى العصور السابقة كلما فتحوا بلادا نشروا اللغة العربية فيها ، وقد برز كثير من العلماء الأعاجم فى علوم اللغة العربية حتى فاقوا كثيرا من العلماء العرب ، مثل الزمخشرى صاحب الكشاف ، وعبد القاهر الجرجانى صاحب كتابى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ورضى الله عن الإمام الشافعى إذ يقول فى رسالته الأصولية : «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

مكتبتنا العربية

ويتلو كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم نبوته ، وأنزل به آخر كتبه ، كان خيرا له ، كما عليه الصلاة والذكر فيها ، ويأتى البيت وما أمر بأتيانه ويتوجه إلى ما وجه إليه ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعا » .

وقد أشار رضى الله عنه بقوله : (ويكون تبعا) إلى دقيقة سياسية كان على المسلمين استدامة مراعاتها ، وقد راعاها المستعمرون ، فانهم إذا استعمروا بلدا نشروا لغتهم بين أهلها ليكونوا تابعين لهم .

من أجل ما قلناه وغيره مما لم نصل إليه أجمع أئمة المسلمين على عدم جواز (ترجمة القرآن الكريم) ترجمة عامة كترجمة غيره من الكتب ، وأجازوا ترجمة تفسيره ، وسنذكر نصوصهم فيما بعد .

الفرق بين الترجمة والتفسير :

والفرق بين ترجمة نفس القرآن وتفسيره أن الترجمة تحاكى الأصل بحيث يظهر لقارئ الأصل والترجمة أن المتكلم واحد ، سواء كانت الترجمة حقيقية أو تقريبية ، فهى تحاذى الأصل فى نسبة الأقوال تماما ، فأذا كانت عبارة الأصل مثلا هكذا « قلت لفلان كذا ، ورد علىّ بكذا » فالترجمة تكون على هذا السياق والنمط ، من أجل ذلك قلنا فى التمهيد : إن العرف العام يقضى باتحاد الترجمة والأصل .

وأما التفسير فهو شرح وبيان لمعنى القرآن الكريم بحسب ما فهمه المفسر بعبارة من عنده منسوبة إليه يتضح لكل من قرأه أنه غير القرآن الكريم ، وقد يشتمل التفسير على زيادات من التوجيه وبيان أسرار التركيب وغير ذلك .

ولظهور أن عبارة التفسير صادرة من المفسر لا يقع اشتباه بينها وبين القرآن الكريم ، ولم يكن فى ترجمته ضرر أو خطر كالذى بينا ترتبه على ترجمة نفس القرآن ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

مكتبتنا العربية

نصوص الأئمة فى ترجمة القرآن الكريم :

١ — قال الزركشى فى البحر المحيط فى علم الأصول ـ وهو كتاب مبسوط لم يطبع ـ : لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية وغيرها، بل يجب قراءته على هيئته التى يتعلق بها الإعجاز، لتقصير الترجمة عنه ، ولتقصير غيره من الألسن عن البيان الذى خص به دون سائر الألسنة قال تعالى : (بلسان عربى مبين) .

٢ — عبارة النووى فى كتاب المجموع شرح المهذب فى فقه الشافعية صفحة ٣٧٩ من الجزء الثالث : «مذهبنا أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب ، سواء أمكنه ذلك بالعربية أو عجز عنها ، وسواء كان فى الصلاة أو غيرها ، فإن أتى بترجمته فى صلاة بدلا عن القراءة لم تصح صلاته سواء أحسن العربية أم لم يحسن » .

٣ — عبارة المغنى لابن قدامة فى فقه الحنابلة صفحة ٥٣٠ من الجزء الأول :

« ولا تجزيه القراءة بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربى ، سواء أحسن قراءتها بالعربية أم لم يحسن » اهـ .

٤ — وأما ما نقل عن الحنفية من جواز قراءة القرآن بالفارسية فهو فى خصوص الصلاة لبعض آيات تتوقف عليها صحة الصلاة . وقد أجازوا ذلك للعاجز عن قراءة هذه الآيات باللغة العربية للضرورة واكتفاء بالمعنى ، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، أما ترجمة جميع القرآن كما يراد من المشروع فقد نصوا على منعه كغيرهم من باقى الأئمة . وهذه بعض نصوص الحنفية :

(١) قال شيخ الإسلام أبو الحسن المرغينانى الحنفى فى التجنيس :

« ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع، لأنه يؤدى إلى الإخلال بحفظ القرآن ، لأنا أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى ، فإنه دلالة على النبوة ، ولأنه يؤدى إلى التهاون بأمر القرآن » .

(٢) وقال فى معراج الدراية :

« من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق ، والمجنون يداوى والزنديق يقتل » .

مكتبتنا العربية

مشروع الترجمة

مشروع الترجمة صريح فى الترجمة التى بينا فيما سبق أنها لاتجوز ، أما الترجمة الحرفية فظاهر . وأما الترجمة المعنوية فأن هذه الترجمة متى كانت تحاكى الأصل وتحاذيه فى نسبة الكلام — وإن لم تف بجميع مقاصده — هى فى العرف ترجمة للقرآن يعتبرها أهله مع تطاول الزمان هى نفس القرآن مهما اتخذ من الاحتياط بالتنبيه على أنها ليست هى القرآن كما شرحناه فيما سبق . نعم إن أرادوا بالترجمة المعنوية تفسيرا مختصرا ينسب الكلام فيه إلى المفسر من غير محاذاة للأصل ولا محاكاة له فى نسبة الكلام فلا مانع منه بشرطين : الأول أن تكون عبارته واضحة أنها تفسير للقرآن منسوبة للمفسر ، والثانى طبع نصها العربى معها ليزول الاشتباه من كل وجه . وهذا خلاف ظاهر المشروع ، فأن ظاهره أن المراد ترجمته بالمعنى المعروف لاتفسير .

وما استند إليه المشروع من كلام المرحوم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فأن رأيه قد استقر على ترجمة التفسير كما يعلم من استفتائه جماعة كبار العلماء وافتائهم بذلك وتصديق مجلس الوزراء (إبريل ١٩٣٦) .

وما استند إليه أيضا من كلام الزمخشرى فى كشافه فقد اقتصر فى نقل عبارته كما يقتصر القارئ على قوله تعالى : (فويل للمصلين) ، وقوله تعالى : (لاتقربوا الصلاة) ، وذلك أن بقية عبارته تفيد ترجمة تفسيره وتفهيمه للناس ، فقد قال فى آخرها : « مع مافى ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتزاحمة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوته على كتاب واحد ، واجتهادهم فى تعلم لغته وتعلم معانيه ، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف » اه ومثله عبارة شيخ الإسلام وهو أبو السعود .

وما استند إليه أيضا من عبارة الزيلعى شارح الكنز فى فقه الحنفية فكلامه كغيره من الحنفية فيما تجزئ قراءته فى الصلاة فقط ، وفى آخر عبارته قال : إن أباحنيفة رحمه الله رجع عن رأيه .

وما استند إليه من كلام الشاطبى فى الموافقات ، فخلاصته أن اللغة العربية تختص

مكتبتنا العربية

بالدلالة على معان ثانوية تابعة وخادمة زيادة عن المعانى الأصلية فلا يمكن ترجمتها بالنظر لهذه المعانى التابعة التى اختصت بها اللغة العربية إلى لغة أخرى، ويمكن ترجمتها بالنظر إلى المعانى الأصلية المشتركة بين جميع اللغات ، وذكر خلافا وهو أنه هل تستفاد الأحكام الشرعية من القرآن الكريم باعتبار دلالته على المعانى الثانوية أولا تستفاد ، ورجح عدم استفادتها ، ويعنى أنها لا تكون مقصودة بالتبليغ ، وبناء عليه جوز ترجمة القرآن بالنظر لمعانيه الأصلية المقصودة بالتبليغ قياسا على تفسيره الذى اتفق عليه أهل الإسلام .

وعندى أن كلامه غير وجيه : فأولا لا نسلم أن الأحكام الشرعية لا تستفاد من القرآن باعتبار دلالته التبعية، فأن تقديم ما حقه التأخير قد يفيد الحصر فيكون مشتملا على الاثبات والنفى كقوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فأن معناه نعبدك ولا نعبد غيرك ، ونستعينك ولا نستعين غيرك ،والأول منطوق والثانى مفهوم ، وبعبارة أخرى الأول أصلى والثانى تبعى . ولو سلم ذلك فترجمة القرآن باعتبار معانيه الأصلية على فرض استيعابها لها ليست مساوية للقرآن بالاتفاق، ومع ذلك تشتبه به وتعتبر فى نظر أهل العرف أنها القرآن . وفيه من الخطورة ما فيه كما سبق ، وقياسها على التفسير قياس مع الفارق كما وضحناه .

و ما استند اليه من كلام الحافظ ابن حجر نقلا عن ابن بطال المالكى من أن الوحى كله متلو اوغير متلو نزل بلسان العرب وبلغ اليهم وهم يبلغونه الى غير العرب بالترجمة، فمراده أن أحكام الدين الاسلامى من أصول وفروع وأخلاق ـ المأخوذة من الكتاب والسنة ـ تبلغ الى غير العرب بالترجمة ، وليس مراده أن يترجم القرآن كله الى لغات عدة بحيث يتكون من تلك التراجم مصاحف عدة انكليزية وفرنسية ولاتينية . . الخ . والدليل على ذلك أنه لم يقع فى زمانهم ولا فى زمان من قبلهم . والله اعلم بما

عيسى منون
عضو جماعة كبار العلماء
وشيخ كلية الشريعة سابقا

مكتبتنا العربية

مهازل الترجمة

فى الكلام البليغ

نقلنا فى صفحة ٢٤٧ من المجلد ٢٥ لهذه المجلة الشروط الفنية التى ذكرها أبو عثمان الجاحظ للترجمة ، وما يعتورها من أخطار ، وما يتحمله القائم بها من عظيم المسئولية ، هذا فى كتب العلم ، فما بالك بكلام الله المعجز ؟ . ونقلنا فى ص ٢٦١ من المجلد ٢٦ جواب الشاعر البرهمى رابندرانات تاغور للذين اقترحوا عليه فى مصر أن يترجم بالانجليزية كتبه التى ألفها هو نفسه باللغة الهندوستانية ، فقال لهم : إن ذلك مستحيل ، وإنه يعجز عن ذلك ، لأن لكل لفظة فى لغتها جوا خاصا محيطا بها ، فأذا أمكن وجود لفظ فى اللغة الثانية قريب المعنى من اللفظ فى اللغة الأولى فأن الجو الخاص بكل لفظة فى لغتها لا يمكن أن ينقل إلى اللغة الأخرى . ولذلك كانت الترجمة تصلح فى علوم الرياضة والطبيعة ، وتصلح فى كتب التاريخ والسير : كالتوراة ، والإنجيل ، وتستحيل فى الكلام البليغ ، ولا سيما إذا بلغ فى بلاغته الذروة العليا كالقرآن .

وأمامنا الآن مقال من اليوميات للاستاذ العقاد فى جريدة الأخبار عن هذه الترجمات الجديدة لمكتب شكسبير التى ينفق على كل منها مئات الجنيهات تحت إشراف الدكتور طه حسين ! ! . قال الأستاذ العقاد :

النشوز .. والتنمر

سألنى أمس صديق أديب عن رأيى فى ترجمة رواية شكسبير Taming of the Shrew بتأديب الناشز وقال لى : إن الدكتورة سهير القلماوى التى تتولى ترجمتها فضلت هذه التسمية على اسم « ترويض النمرة » الذى اختاره الأستاذ إبراهيم رمزى رحمه الله .

وإذا صح ما سمعته من الصديق الأديب فترجمة شكسبير تحتاج الى تحقيق أصح من هذا التحقيق ، لأن الفرق بين النمرة والناشز بعيد ، بل جد بعيد .

مكتبتنا العربية

إذ كانت الزوجة الناشز تهجر مسكن زوجها ويصلحها الرد إليه، ولا يلزم من التنمر أن تخرج المرأة من بيت الزوجية بل لعلها تستقر فيه ولا تفارقه ولو طردت منه .

والناشز تكره زوجها وتقلاه ولا تحب أن تعيش معه ، ولكن المتنمرة قد تحبه وتهواه ، وقد يكون تنمرها من قبيل المناوشات والمغايظات التي يتبادلها الأحباء .

والناشز قد تترك بيت زوجها أو تعيش فيه ولا تنبس بكلمة واحدة .

أما النمرة أو المتنمرة فلا تسكت عن لذعات اللسان ولو كانت على مائدة الطعام !

والنشوز لا يكون إلا بين المرأة وزوجها ، ولكن التنمر خليقة تكون في المرأة مع كل إنسان : مع زوجها وأهل زوجها ، ومع أبيها وأمها ، ومع الصواحب والجارات .

وإذا اطلع القارئ على رواية شكسبير علم أن الأساليب التي لجأ إليها الرجل لترويض الزوجة السليطة أو المتنمرة ـ تنفع حقا في تخويفها وتهدئتها وتنجع في تهذيبها حيث يكون الأمر كله مستدعيا للتهذيب والتأديب .

ولكن هذه الأساليب قد تزيد المرأة الكارهة كراهة لزوجها ، ونفورا من معاشرته والإقامة معه في مسكن واحد ، وقد يكون نشوزها لأنها هي المهذبة المؤدبة وزوجها هو المحتاج للتهذيب والتأديب .

وهذا هو الفارق البعيد في معنى العنوان .

فكيف يكون الفارق أو الفوارق في الرواية كلها بما اشتملت عليه من مناظر وفصول ؟ ! ! .

كان الله في عون الأدب إن لم يتدارك فهمه بتحقيق أصح من هذا التحقيق ؟

الصـــــدق

الصدق مطلوب في الأمور التافهة ، بقدر ما هو واجب في جلائلها . وليس المهم ما يترتب على الكذب من الشر ، بل المهم أن لا تلطخ نفسك بالكذب .

تولستوى

مكتبتنا العربية

الدستور الجديد

« إن هـذا الدستور يا إخوانى بداية جهاد وليس نهاية كفاح » .

هذا من تعليق الرئيس جمال بعد أن انتهى البطل أنور السادات من تلاوة الدستور .

وحينما كانت مصر كلها مصغية إلى زعيمها فى تعقيبه، وفيما يلهج به عن مآسيها فى الماضى، وآمالها فى المستقبل، كانت مصر فى إصغائها تتلقف كل مادة من مواد الدستور ، وكل كلمة من كلمات الزعيم ، كما يتلقف الظمآن قطرات الماء فى فمه، فتروى غلته رويدا رويدا ، وتبرد كبده شيئا فشيئا ، حتى لم يكد دستورها يتلى عليها ، ولم يكد زعيمها ينتهى من كلماته، إلا دبت فى أعصاب مصر حياة جديدة ، وخالجها أمل قوى ، وتجدد إحساسها فى غبطة وإيمان بأن الثورة لم تقف بأبطالها عند الخطوات الموفقة التى شهدتها ، بل تتجه بها إلى أهداف أخرى ، وتسعى بها إلى غايات ليست قصيرة المدى ، وان حظها من هـذا الدستور فضفاض بحق ، وخطر لمصر طائف الذكريات نحو دستورها القديم حينما قام حوله الجدل ، وثار من أجله بين الصفوف شغب وانقسام . . ، وذلك لقصوره عن رغبات الشعب ، ضرورة أنه كان منحة شحيحة ممن يودون بقاء مصر فى عقالها ، ولا يرضيهم إطلاقها فى فسحة من الحرية ، ولا تمكينها من الأوضاع التى تقيم عليها حياتها المنشودة .

ثم جاءت تجارب تلك الحياة الدستورية تمثيلا لفصول مكررة : امتزج فيها الجد بالهزل ، واشتبه الحق بالباطل ، ثم ظل مفروضا على مصر حقبة غير قصيرة . وإذا كانت الأمة أفادت منه شيئا ، أو تقدمت به خطوة، فقد فاتتها أشياء، وتعثرت فيه خطوات . . إذ كان النفوذ الاستعمارى متغلغلا فى أعصاب الدستور ، وكانت ألاعيب الحكم آخذة صفة المشروعية الزائفة باسم ذلك الدستور وفى حمايته .

فإذا عدلنا بالذاكرة عن هذه النقائص ، ووقفنا أمام دستور الثورة ، تبينا فى واضح نصوصه ، ولمسنا فى فحواه ومفهومه ، كل مايجيش فى صدر الأمة من رغبات ، ووجدناه غير مشوب بأيهام تتريث الأفهام فى تفسيره ، أو يتكلف الذهن فى تعليله ، أو يقبل التأول للسير به ذات اليمين وذات الشمال .

مكتبتنا العربية

هذا دستور أوحت به وأملته على واضعيه حساسية شعبية وعاطفة وطنية ، وأشرف عليه ضمير قوى يقظ ، وتكفلت به عزيمة جدية صادقة ، فجاء تبويبه طبيعيا يواثم الثغرات التى تحسها الأمة فى نظامها الاجتماعى ، وجاءت مواده جامعة لكل رغبة ، ووافية بالمقاصد التى يتجه إليها طموح المواطنين النابهين وغير النابهين . وماذا يبقى للطامحين بعد أن اشتمل الدستور الجديد على كل منفذ من منافذ الإصلاح ، وجمع كل مبدأ من مبادئ الوطنية المثالية ، والعدالة التامة ، والتوجيه إلى الصالح العام ؟ ؟

ماذا يبقى للغيورين على التربية بعد أن اعتمد الدستور فى توجيه الشعب على الدين ، والخلق ، والوطنية ؟ وبعد أن ترك للمرأة رسالة شاقة تتفرغ لها فى الأمومة ، وتؤازر بنشاطها فى محيط الأسرة كفاح الرجل فى جهوده المضنية ، وتسانده فى بناء المجتمع بتكوين جيل جديد ؟ ؟

أحاطت مواد الدستور بجوانب الخير فى كل ناحية يرجى منها الخير ، وقد نهض إلى تفسير ذلك كله رجال إخصائيون : كالدكتور العربى ، والدكتور عثمان خليل ، وتحدثت إلينا سيدات فضليات كالدكتورة سهير القلماوى فيما أذاعته . وبهذا هدأت نفوس كانت صاخبة ، واستراحت طوائف الأمة إلى الدستور على وجه الإجماع ، ريثما تحين الفرصة لإبداء ما يعن لهم من رغبات .

وإذا روعى أن هذا المشروع للدستور لم يفرض على الأمة نهائيا ، بل مع ما فيه من جمال أتيحت للأمة فرصة النقد له ، وإدخال ما ترى من تعديله أو تكميله بالإضافة إليه — تبين من جديد وعلى وجه التأكيد أن روح الثورة هى روح الأمة ، وأن أهداف الثورة هى أهداف الأمة ، وأن الثورة فيما نهضت إليه لم تكن مستوحية إلا من جانب الأمة ، ولا متأثرة بغير الإخلاص للأمة ، والحدب عليها ، والتفانى فى إعلاء شأنها ، وتوفير السعادة لها ، وليس ذلك بحاجة إلى إعراب ، فالثورة لا تضن على الشعب بجهود تبذله ، ولا تمن عليه بخير تحققه ، ولا تصده عن أمل ينشده ويعلق عليها الأمل فى إدراكه .

بل هى تسبق الشعب إلى مبتغاه ، وتوقظ الوعى لدى من غفل وعيه ، وتهيب بالجميع أن يتكتلوا صفا واحدا ، وأن يقتدوا بالثورة فى إنكار الذات ، ونبذ التواكل ، وإيثار الجد ، وعقد الخناصر على المودة فى الوطن والتضحية للوطن ، والإيمان بأن سعادة الوطن سعادة لكل أفراده وجماعاته ، وأن الأنانية وحب النفس سبب للتراجع ، ومضيعة للمجد ، ومهزلة فى التاريخ .

مكتبتنا العربية

ومن خلال هذه الوطنية المثالية التى تبلورت فيها آمال الشعب ، ونفح عبيرها من فم الرئيس ، ومن أفواه رجال الثورة .. من خلال هذه البطولة التى نهضت على يدها مصر من حضيض إلى نجد ، ومن خلال هذه الرجولة التى كشفت لمصر عن حياة أفسح مما كانت تقنع به ، وأبانت لها أن المجد أعظم مما كنا نحكيه عن الأسلاف ، وأحب مما كنا نقدره .

من هذا الجهاد الصادق الذى كنا نقرؤه فى سير الأولين ، ولم نره إلا فى مواقف أبطال الثورة .

من هذه المحامد التى يتمثل فيها الحق ، ويتطق بها الواقع ، ويشهد بها العالم فى الآفاق .

ومن هذه الحياة النابضة فى قوة ، والتى تبعثها الثورة فى جنبات الوادى مع إشراقة الشمس كل صباح ...

ومن هذا الجديد الفتى الذى نلمح مخايله فى وجه الزمن ـ نستطيع أن ندرك حقا تلك الأهداف التى تتمثل فيها روح الثورة ، والتى حدثنا عنها زعيم مصر مترجما بها عن إيمان الثورة : « بأن الدستور الجديد بداية جهاد ، وليس نهاية كفاح » .

ومن هذه الجملة عرف من لم يكن يعرف أن الثورة قامت لتظل قائمة ، وقالت لتظل ناطقة ، وتقدمت الصفوف لتمهد السبيل أمام الأجيال حتى تدأب الأجيال على مواصلة السير ، وإفساح الخطى ، وإدراك ما يضمره الزمن من أمجاد ، حتى تعيش مصر بعد : أكرم مما عاشت : قوية فى دينها ، وأخلاقها ، ووطنيتها — قوية فى قوميتها ، وشخصيتها ، عزيزة بين الدول ، مهيبة الجانب ، مذكورة بالثناء والإعجاب .

أما جمال وصحبه فلم يطمعوا لأنفسهم فى شىء ، ولم يزاحمهم فى وطنيتهم جنوح إلى شىء .

وإذا كان من خصائص مصر عرفانها بالجميل فلن تستطيع الوفاء لرجال الثورة بما يستحقونه من تقدير .

فسلام على جمال فى صحبه ، وسلام على صحبه فى تضافرهم ، وجهادهم ، وسلام عليهم جميعا فيما يستقبلون من أعمار طويلة ، وحياة هنيئة ، تحوطهم فيها الأمة بقلوبها ، وتغمرهم بحبها ، وتهتف لهم دائما بدعواتها الطيبات ، والله المستجيب .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

مسئولية الطبيب

تطلع الصحف والمجلات على الجمهور أحيانا بحوادث مختلفة ، ترجع إلى سلوك بعض الأطباء مع مرضاهم مسلكا غير عادى فى علاجهم ، أوفى إجراء بعض العمليات الجراحية ، أو فى وصف بعض الأدوية التى ينشأ عنها ضرر أو وفاة ، وأحيانا ينشأ الضرر من خطأ القائمين بتحضير بعض الأدوية فى الصيدليات ، أو خطئهم فى تقديم الدواء الذى وصفه الطبيب المعالج للمريض . وقد يترتب على هذه الحالات أن يلجأ المرضى أو أقاربهم إلى الدعاوى والشكايات لدى الجهات المختصة ، وتصدر أحيانا أحكام تلزم الأطباء أو أصحاب الصيدليات بتعويضات مالية ، تتفاوت بتفاوت الأضرار التى طلب عنها التعويض . ويراعى فى تقدير التعويضات الظروف والأحوال والمناسبات والأسباب التى تولد منها الضرر . وقد استرعت هذه الحوادث وتلك الأحكام نظر بعض من يتطلعون دائما إلى أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع تصرفاتهم ، حتى تساءل البعض عن حكم الشريعة فى مثل هذه الحوادث وتلك التصرفات ، وهل لها فيها رأى ، وماذا يكون رأيها وحكمها ؟

وقد استدعانى ذلك التساؤل إلى البحث عن الجواب عن هذه الأسئلة ، فعمدت إلى درس هذه الحوادث والتعرف على أحكامها فى مظانها من كتب الفقه الإسلامى ، وهى ترجع إلى ما يأتى : —

جعل الفقهاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاضرر ولا ضرار » قاعدة عامة فرعوا عليها كثيرا من أحكام الضمانات كضمان الحارس ، والملاح ، والخياط ، والصباغ ، والخباز ، وما إلى ذلك من أنواع الضمانات الناشئة عن تقصير أو تعد ممن يقومون بعمل من هذه الأعمال ، وفوق هذا فقد ورد نص خاص فى تضمين الطبيب عن الضرر الناشئ من علاجه للمرضى ، فقد روى أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » . وفى الحديث إيجاب

مكتبتنا العربية

الضمان على الطبيب إذا تعاطى علم الطب ، ولم يتقدم له به معرفة ، لأنه تعدى بجهله على الأنفس وغرر بالمرضى فيكون ضامنا لما ينشأ عن عمله من ضرر أو إتلاف .

وقد بحث بعض العلماء فى منطوق هذا الحديث ومفهومه وما يدل عليه وما يتعلق به ، فحصر الحالات المتعلقة بالعلاج ، وبين حكم كل منها ناظرا فى ذلك إلى مقدار الضرر الناشئ من العلاج ، والتقصير الناشئ من الطبيب ، ومقدار معرفته بمهنة الطب والظروف التى تولد منها الضرر على الوجه الآتى :

فأن كان الطبيب حاذقا أعطى الصنعة حقها ولم تجن يده فتولد عن فعله المأذون فيه من جهة الشارع ومن جهة من يعالجه تلف فلا ضمان عليه ، لأن التلف نشأ بطريق السراية عن فعل مأذون فيه فلا مؤاخذة عليه : كما إذا ختن الطبيب الصبي فى سن مناسبة للختان وراعى فى ذلك الإجراءات التى يجب عليه القيام بها فى مثل هذه العملية ، فأذا تلف العضو أو توفى الصبي لم يضمن الخاتن ، كما إذا نشأ عن التعزير وفاة فلا شيء على المعزر . وإن كان الطبيب جاهلا فنشأ عن علاجه ضرر للمريض فأن علم المريض بجهل الطبيب وأذن له فى العلاج لم يضمن . وإن كان الطبيب حاذقا واتبع الإجراءات المطلوبة لجراحته لكنه أخطأت يده فهذا يضمن جناية الخطأ ، وذلك فى حالة ما إذا سبقت يد الخاتن إلى مقدار أزيد مما يجب قطعه من العضو فتلف العضو ، وهذا الطبيب الموصوف بهذه الأوصاف لو وصف دواء لمريض فأخطأ فى اجتهاده فمات المريض يؤاخذ الطبيب بخطئه ، وإذا قام بجراحة بغير إذن فنشأ عن جراحته ضرر يضمن لأن الضرر تولد عن فعل غير مأذون فيه .

هذا ما قاله بعض فقهاء الشريعة الغراء خاصا بمباشرة الأطباء لأنواع العلاج والجراحة ووصف الأدوية ، وهو شامل لجميع تصرفاتهم على وجه التقريب . وجميع الأحكام المتعلقة بمهنتهم يمكن استخلاصها فيما أظن من قاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقاعدة : « المتعدى يضمن ما نتج من أضرار بسبب عدوانه » . وهذه بعينها قاعدة المسئولية التى سلكها المشرع الوضعى ، إذ قسم المسئولية إلى مسئولية تعاقد ومسئولية تقصير ، فالأولى تترتب على الإخلال بالتزام عقدى : كمسئولية البائع الذى يقصر فى تسليم المبيع ، والثانية مترتبة على الإخلال بالتزام قانونى يوجب عدم الإضرار بالغير ، وهذه بعينها تشملها القاعدة الشرعية المأخوذة من الحديث النبوى . وقد نص القانون المدنى الجديد فى باب الالتزام

مكتبتنا العربية

على هذه القاعدة فى المادة الثالثة والستين بعد المائة حيث قال : « كل خطأ سبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض» كمسئولية سائق السيارة الذى يحدث ضررا للغير فى أثناء قيادته . فالضمان والمسئولية مدلولها واحد ومنشؤهما واحد وهو الضرر ، فاذا أخل الطبيب بواجبه العلاجى أو المحامى بواجبه الدفاعى كان كل منهما مسئولا عن الضرر الناشئ من تقصيره ، فأركان المسئولية خطأ نشأ عنه ضر للغير .

والخطأ فى نظر المشرع الوضعى هو تقصير فى مسلك الإنسان لا يقع من شخص يقظ فى نفس الظروف الخارجية التى أحاطت بالمسئول ، فهو بالنسبة للطبيب تقصير فى إجراءاته لا يقع عادة من طبيب يقظ وجد فى نفس الظروف الخارجية التى أحاطت بالطبيب المسئول ، إذ المفروض فى مهنة الطب أنها أجنحة رحمة تبسط على أفئدة المرضى فتكسبها اطمئنانا وتخفف عنها أوجاعها وتلطف آلامها ، فهى مهنة إنسانية تقوم بالواجب لا تطلب جزاء ولا شكورا ، وإنما تبغى الخير والمصلحة العامة للانسانية . فالأرواح والأنفس والمهج أمانة فى أيدى الأطباء يطلب منهم القيام بها على خير وجه ، وتطلب فيها العناية البالغة بمرضاهم حتى يصلوا إلى بر السلامة ويخرجوا مما فيه من أمراض وآلام ، فهم فى بحر لجى من الفزع والخوف والرعب تغشاه ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن أجل ذلك ورد فى بعض الآثار كثير من المثوبات والأجور للأطباء الذين يقومون بواجبهم خير قيام ، ويؤدون لمهنتهم ما تتطلب من عناية وجهد على الوجه الأكمل .

ورد فى كل ذلك ما يشجعهم على القيام بواجبهم ، ويبشرهم بالخير العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فمن هذا البحث الشرعى والوضعى المتعلق بالأطباء ومهنتهم وأخطائهم وتقصيراتهم وإهمالهم يرى أن المشرع الوضعى كان فى استطاعته أن يولى شطره نحو قبلة الشريعة الإسلامية ويجعلها مصدرا معتدا به فى وضع الأحكام لنظرية المسئولية ، مستندا فى ذلك إلى القاعدتين اللتين ذكرتهما ، خصوصا وأن المشرع الوضعى له سابقة عهد بهذه الشريعة حينما ولى وجهه شطرها فى استقاء أحكام الشفعة ونحوها ، فوجد فيها مرتعا خصيبا وأحكاما دقيقة مناسبة لأحوال الشفعة ، فتخير منها ما شاء له أن يتخيره ، وانتقى الأحكام المناسبة لظروفنا وأحوالنا العمرانية والحضارية والاجتماعية ، وكان فى اتجاهه هذا تأكيد للقاعدة الشرعية القائلة : « الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » وهذا ما دعا الفقهاء إلى أن يتوفروا على البحث والدرس واستنباط الأحكام الشرعية الملائمة لكل عصر ، كما دعاهم

مكتبتنا العربية

إلى أن يستنبطوا أحكام الحوادث المتجددة المتولدة من اختلاف الأحوال باختلاف الأزمان، علما منهم بأن الحوادث لا بد لها من تكاثر وتوالد ، وأن ما قاله الفقهاء فى العصور الماضية قد لا يصلح لبناء المجتمع الصحيح فى العصور المتلاحقة. وإنا لنرجو للشرع الوضعى سدادا وتوفيقا ، كما نرجو له ازدياد نشاطه وبحثه ودرسه وتنقيبه فى التراث الفقهى الإسلامى حتى يأتى اليوم الذى يستطيع فيه أن يحصل على استقلاله التشريعى ، ويتخلص من الاستعمار التقنينى ، فاستعمار العقول أشد حسرة وألما من استعمار البلدان .

والتفاخر بالعقول ونضجها واستنارتها أقوى مجدا ، وأعظم كرامة . فقد روى عن نابليون أنه قال غداة وضعه للتشريع الفرنسى فى عهده : « إننى لفخور ومغتبط بهذا العمل أشد من اغتباطى بالنصر فى أعظم موقعة وأخطر حرب خضت غمارها وشاهدت ماحى من وطيسها» . وقبل ذلك اغتبط جستنيان بجمعه للقانون الرومانى وتنظيمه وترتيبه وتبويبه وتهذيبه واختيار الأحكام المناسبة لعصره من القوانين السابقة عليه . ولم تكن الشريعة الإسلامية شيئا مذكورا فى مجال الأبحاث القانونية الدولية ومجامعها ومؤتمراتها فى العهود الماضية ، وقد علا شأنها وذاع صيتها ودوت أحكامها فى العصر الحديث فى ميادين الدراسات القانونية الدولية : فى المؤتمرات والمجامع ، كما أنه قد أصبح لها شأن أعظم ومجال أوسع فى أبحاث القوانين المقارنة ، بل لقد قررت أخيرا بعض المؤتمرات الدولية التى مثلت فيها مصر ببعض فقهائها أن الشريعة الإسلامية تعتبر مصدرا من مصادر التشريع . كما أن قانوننا المدنى الجديد قد اعتبر الشريعة الإسلامية وأحكامها مصدرا من مصادره . وإن فى إقبال بعض الباحثين على الفقه الإسلامى ودرسه وبحثه واستنباط أحكام القانون الدولى الخاص والعام من الفقه الإسلامى من قواعد معاملة الحربيين والذميين والكتابيين وقواعد الحرب والسلم وغير ذلك من الأحكام التى تدور حول هذا القانون ، وفى وجود رسائل خاصة من بعض الباحثين فى التشريع الإسلامى كرسالة « المصلحة فى التشريع الإسلامى » الدائرة حول المصالح المرسلة والمقبول منها والمردود ، ورسالة التعزير فى الإسلام ، وما تضمنته من ابحاث حول الجنايات ونحوها ، كل ذلك بشير خير ، ورسول فأل ، ينبئ بأن الشريعة الإسلامية لابد أن تصل إلى مجدها الغابر ، وسلطانها الماضى ، وهيمنتها السابقة فى التشريعات ، كما أن فى الأبحاث القانونية التى يقوم بها معهد الدراسات العربية أملا عظيما . وإنا لنرجو التوفيق لكل باحث ومنقب فى تراثنا الإسلامى الفقهى . وإن فى تكاتف الجهود ، وتساند القوى ، وامتداد البحث والسير ، بشيرا بالوصول إلى الغاية المنشودة . والله معين العاملين ، وموفق المصلحين ؛

عبد الله مصطفى المراغى

مكتبتنا العربية

أغراض الأسلام

يتحدث عنها وزير العمل والشئون الاجتماعية

فى مساء يوم الأحد ٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ ، جلسنا بأحد أحياء مدينة القاهرة نتدارس الإسلام فى جماعة التزم فى أفرادها أن يكونوا جامعيين .

وكان موضوع مدارستنا تلك الليلة هو التفسير ومناهج المفسرين ، وبعد أن استعرضنا صورا شتى من التفسير ومناهج المفسرين رأينا أن خير منهج للتفسير هو أن ينظر المفسر إلى السورة أو الآيات المجتمعة فى موضع كمكل ، ثم يعرف ما الغرض من تلك السورة أو هذه الآيات ؟ وماذا حشد له من الأدلة ؟ وكيف وفت هذه بالغرض المطلوب منها ؟ .

وإذا بنا نفاجأ بالسيد البكباشي أركان الحرب حسين الشافعي وزير العمل والشئون الاجتماعية يدخل علينا فيحيينا ويصافحنا ، ثم يجلس متحدثا معنا فيقول :

إننى مسرور جدا لوجودى بينكم ، ولهذه الطريقة السامية التى تتدارسون بها الإسلام .

إن الإنسان يجب عليه أن يعرف الغرض من كل شىء يتصل به ، وإن تلك المعرفة مهمة جدا ، والعسكريون يعتبرون معرفة الغرض أمرا هاما للغاية . وإذن فما هو الغرض من الإسلام ؟ .

إن الغرض من الإسلام هو الرحمة : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . « بسم الله الرحمن الرحيم » والرحمن الواهب الرحمة ، والرحيم فاعلها ، ولذلك فكل تشريع يهدف إلى الرحمة فهو من أغراض الإسلام ، وكل عمل أو تشريع لا رحمة فيه بعيد كل البعد عن الإسلام .

والتساؤل عن الإسلام وأغراضه أمر قديم ثابت ، فقد جاء فى الحديث الصحيح أن

مكتبتنا العربية

النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فطلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يعرفه من الجالسين أحد ، وليس عليه أثر السفر، حتى دنا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه، ثم سأله فقال : يا محمد ، ما الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا » .

والإسلام على هذا يتكون من شعار وأربعة أعمدة أو دعائم، ولا بقاء للشعار إذا فقدت دعائمه ، ولا فائدة فى هذه الدعائم إذا لم تحمل هذا الشعار .

فشعار الإسلام أو أساس الإسلام هو : « شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله » ودعائمه هى الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج .

والشعار يرمز إلى العزة والكرامة والحرية والمساواة ، فالناس جميعا سواسية : لافضل لجنس على جنس، ولا للون على لون . إنما ذوو الفضل من يحققون معنى « لا إله إلا الله » ومن يؤمنون بهذا الشعار ! .

وأما الدعائم الأربع فمنها دعامتان لتربية الفرد الصالح وهما الصلاة والصوم ، ومنها دعامتان لتكوين المجتمع الصالح وهما الزكاة والحج .

فالصلاة تدرب الفرد على محاسبة نفسه ، وحب الله ، والسعى فى رضاه ، والبعد عن غضبه ، وكل صلاة لا تؤدى هذا الغرض ولا تربى فى الفرد تلك المعانى فهى غير مقبولة عند الله بل هى مردودة على صاحبها ! ! فإن الله تعالى يقول : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفى الأثر : « رب مصل لا صلاة له » .

وأما الدعامة الثانية وهى الصوم فإنها تدرب الفرد على الصبر وعلى الإحساس والشعور ، وتهيئه للاندراج فى سلك المجتمع ، فيشعر بآلام الغير .

وأما الدعامتان الثالثة والرابعة ـ وهما الزكاة والحج ـ فهما الغاية القصوى لتكوين المجتمع الصالح ، ففى الزكاة التراحم والتعاطف والتساند ، والحج هو المؤتمر الإسلامى

مكتبتنا العربية

الأكبر، يجتمع فيه المسلمون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، فيتم بينهم التعارف والتشاور والتناصح وتبادل العلوم والمعارف .

والشخص الذى يحج دون أن يفهم هـذا الغرض الأسمى من الحج لم يفـد من حجه كثيرا .

وكل هذه الدعائم لا شك تكون الفرد الصالح فى المجتمع .

وهى أهم ما تهدف إليه أرقى النظريات العلمية الحديثة لمثل هذا التكوين .

وقد سلك الإسلام فى تلك التربية العالية طريق التدرج ، فأول ما يجب على الفرد هو الإيمان بهذا الشعار، ثم إقامة الصلاة لأنها هى الدعامة الأولى فى تربية الفرد، ثم الصيام لأنه يعد الإنسان للاندراج فى المجتمع . ثم يأتى دور التكوين الجماعى العام فتأتى الزكاة والحج .

فالعسكريون فى التدريب العسكرى الحديث يسيرون على هذا المنهج فى تدريب الجنود. فالفرد يدرب فى مجموعة صغيرة ، ثم ينقل إلى محيط أوسع ، ثم إلى المحيط العام ، وكذلك أركان الإسلام .

ولو تتبع الناس نهج القرآن لسعدوا ! ! ولأتوا بالمعجزات ، فأن القرآن ليس معجزا بلفظه ومعناه فحسب ، بل تأتى المعجزة أيضا إن طبقت مبادئه .

وقد تحقق لنا ذلك أيما تحقق فى مشروع معونة الشتاء ، إذ حاولنا فيه تطبيق مبدأ من مبادئ الإسلام والقرآن ، ولم ندخل فيه أى مال حرام كاليانصيب والقمار والحفلات المحرمة التى كانت تقام لجمع مثل هذه الأموال، فلم تعد بركاته على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل كان من بركاته ما عاد على مصر كلها بالعزة والكرامة والرفعة والمجد، وصدق الله العظيم الذى يقول : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

عبد القادر شيبة الحمد

مكتبتنا العربية

فضيلة المحبة فى الله

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها عليه ؟ قال : لا، غير أنى أحببته فى الله تعالى . قال : فأنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه . رواه مسلم .

تقديم : قوله صلى الله عليه وسلم : فأرصد الله على مدرجته ملكا — معنى أرصده : أقعده يرقبه ، والمدرجة بفتح الميم والراء هى الطريق لأن الناس يدرجون عليها : أى يمضون ويمشون . ومعنى تربها عليه : تحفظها وتراعيها ، أو تربيها كما يربى الرجل ولده ، لأنه يقال : ربّ فلان ولده يُربه ربا كما يقال رباه ، ومثلهما ربّبه ، ولتضمن تربها معنى الزيادة والمضاعفة عديت بعلى ، فقيل عليه . ومعنى أحببته فيه : أحببته فى مرضاته أى لها .

المعنى : إن من آيات الله الحسان ، الهادية إلى الخير والبر والإحسان ، فى هذا الدين الذى أرسل الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وإنقاذا للهالكين ، وتفريجا عن المكروبين، وإسعادا للبائسين — هذه المبادئ الاجتماعية التى تتعرفها العقول، وتتعشقها القلوب ، ويشهد بعظيم جدواها وثمراتها كل من لا ينكر الظاهر المشاهد ، ولا يجحد الواقع الملموس ، وهى تلك المبادئ التى لا يغنى فى أخذ الناس بها ، وتقدير مشاعرهم على مقاديرها ، وصبغ قلوبهم بصبغتها ، أية قوة مادية قاهرة ، بل ولا حكمة عقلية صائبة فى هذا الوجود . فأن القوى المادية — بالغة مابلغت — لا تستطيع أن تقضى إلا فى ظاهر من أمر هذه الحياة الدنيا ، والأحكام العقلية مهما أحكمت وسددت لا تملك من أمر المثوبات الباقية شيئا ، وليس لهاتين القوتين من هيمنة على الأسرار والبواطن ، ولا تأثير على العواطف والمشاعر كالذى للدين فى حسن تلطفه إلى القلوب ، وتهذيه إلى نواحى الخير من النفوس ، وعرضه عليها من لدن ربها البر الرحيم ، وخالقها الوهاب

مكتبتنا العربية

الكريم ، الذى خلقها ، وفطرها ، وأعدّ لها ـ على مقتضى ما أودعه من الأسرار فيها ـ ما فيه قرّة العيون ، وشفاء الصدور ، ممالا يملكه أحد إلا الله ، ولا ينبغى لأحد سواه .

وهل يستطيع أحد غير الله أن يبشر أحدا بمثل هذه البشارة لهذا الذى أحب أخا له فى الله بأنه قد حظى بمثل هذه المحبة من الله التى ما جعلها لعبد إلا وقد قضى له بالرفعة والكرامة ، والشرف والعزة ، واللطف والعناية ، والنصرة والولاية ، والتوفيق والهداية ، والروح والريحان ، والجود والإحسان ، وكل ما يقتضيه وصف المحبة فى هذا المقام العظيم الذى يعلو بمعناها على هذا الذى ينزه الله عنه من حقيقتها البشرية التى هى ميل القلوب وانجذابها نحو المحبوب .

على أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فيصل من يشاء بمن يشاء ، ويؤلف بين من يشاء ، ويفرّق بين من يشاء ، على مقتضى من حكمته البالغة ، وعزته القاهرة ، وعلمه المحيط . وفى الحديث : «الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » فكيف يستطيع أحد غيره أن يؤلف بين القلوب المتنافرة ، أو يوحد بين الأهواء المتغايرة ، حتى لا يشقى إنسان بانسان ، ولا يتوقع منه غوائل البغى والعدوان ؟

فمن هذه المبادئ التى لا تملك قوة ولا حكمة بعد الدين أن تغرس فى النفوس غراسها ، وتشرب فى القلوب روحها ، هذا المبدأ الكريم الذى تحلى به قلوب أهل المحبة فى الله من المؤمنين . وقد بين الحديث بطريق الأولى أنها محبة خالصة من الشوائب والأغراض ، منزهة عن الأطماع والأهواء . إذ برأها من كل شىء غير ابتغاء وجه الله ، حتى من انتظار الجزاء على ما سلف من النعماء ، وهى الغاية التى تتقاصر دونها مودّة الأوداء ، ووفاء الأوفياء .

وقد عظم الإسلام من أمر هذه الخصلة أيما تعظيم ، ودعا إليها بكل أسلوب حكيم ، ورغب فيها بكل ترغيب كريم . فالمؤمنون فيه ليسوا إلا اخوة متعاطفين « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا » « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد » . وهذه الأخوة من نعم الله التى يجب أن يذكروها ليشكروها « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . ولن يجد أحد حلاوة الإيمان وبشاشته ، وطيبه فى القلوب

مكتبتنا العربية

ولذته، وجماله ووسامته، حتى يكون فيه ثلاث خصال هى إحداها كما فى الحديث: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مماسواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » بل إن انتفاء هذه الخصلة وحدها ليؤذن بانتفاء الإيمان، ففى الحديث: « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » بل إن لأهل هذه المحبة ـ من القرب والزلفى، والسمو عند الله إلى الدرجات العلا، بعد أن يكونوا من الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله ـ ما يصوره لك هذا الحديث الذى رواه الترمذى بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال فيه : حديث حسن صحيح . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » ، وحسبهم أن يرسل الله إلى رجل منهم ملكا كريما ليبشره بأنه يحبه ، وحسبنا أن يخبرنا بذلك نبينا لنتخذ من المتحابين فى الله قدوة ومثلا ، ولنعلم أن الله أحق بكل جميل وأولى ، وأن له من كل وصف حميد المثل الأعلى .

أما بعد ـ فأننا نريد أن نتبين سر هذا الفضل الظاهر لهذه الخصلة الحميدة من خصال الإسلام ، ولم كانت بهذه المنزلة من الإيمان، وما هو وجه ما أسلفنا من أنها من آيات الله الاجتماعية الحسان؟ . وأول ما ينبغى أن يعلم من ذلك أن هذه المحبة إنما هى فرع عن محبة العبد لله . ولهذا ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما من حديث رواه أحمد رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما » . ومن هنا يعلم أن هذه المحبة ليست بالأمر الهين كغيرها من ضروب المودات، وصنوف المحبات التى لا ترجع إلى أصول ثابتة فى القلوب، بل إلى أحوال خارجية طارئة من الاجتماع على الأغراض والشهوات والالتقاء فى الأهواء والنزعات مما هو مظنة التضارب والاختلاف ، وعرضة للتغير والزوال . ولهذا قيل : إن المحبة بين الأخيار سريع اتصالها، بطىء انقطاعها، وأن مثل ذلك كمثل كوب الذهب الذى هو بطىء الانكسار هين الإصلاح ، وأن المودة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطىء اتصالها : كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبدا . وقد قيل فى ذلك :

من لم تكن فى الله خلته ... تخليله منه على خطر

ومن وجوه أنها ليست بالأمر الهين كغيرها من المودات مع كونها سريعة الاتصال بين الأخيار أن هذا الوصف من الخير الذى تتلاءم به القلوب وتأتلف النفوس لا يكون

مكتبتنا العربية

حتى تتطهر القلوب مما يلابسها ملابسة الأرواح للأجساد، ويجرى فيها مجرى الماء فى العود، ويتردد فى خطراتها تردد الأنفاس فى الصدور : من الأثرة وحب الذات ، والتعلق بالمطامع واللذات ، واتباع الأغراض والشهوات ، والطموح إلى العلو على الخلق ، والاستكبار فى الأرض بغير الحق . وكما قيل :

كل امرئ فى نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وهل التطهر من هذه الخصال ، والتحلى بأضدادها ، إلا بمثابة هدم النفوس ثم بنيانها، وقتلها ثم إحيائها ؟ وهل ذلك إلا صورة من صور الجهاد الأكبر الذى يصل فيه المؤمن ليله بنهاره فى محاربة غرائزه وخصاله ، و منازلة مآربه وأوطاره ، حتى يخرج من هذه الحرب الصارمة الحاسمة ، حرب الموت أو الحياة ، والهلاك أو النجاة، رجلا صادق الإخاء، كريم الوفاء ، نقى الصفاء ، يحب لأخيه مايحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله ، فلا يغيره خلاف فى الرأى إن وقع، ولا تضارب فى المصالح إن كان. وعن على كرم الله وجهه « لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا ما أبغضنى » ولهذا حدت هذه المحبة بأنها « مالا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء » أى أنها أعلى من أن تتطاول إليها أعراض الحياة . وسمع المأمون من بعض الشعراء قوله :

وإنى لمحتاج إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال : ائتنى بهذا الصاحب ، وخذ منى الخلافة . على أن لهذه الأخوة من الخصال فى الدين ما يجعلها كغيرها من الأصول العظام ، لا تستطاع لغير أولى العزم من المؤمنين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، والموفقين المسددين . فعن ابن عمر رضى الله عنهما من حديث سبق بعضه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « للمرء المسلم على أخيه من المعروف ست : يشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، وينصحه إذا غاب ويشهده ، ويسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ، ويتبعه إذا مات ، وينهى عن هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث » وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن : يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه » وفى رواية أخرى لغيره « المؤمن مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبحه » وهى كالتفسير لما قبلها . وقد كان أهل النفوس الكبيرة من أسلافنا يرون أن ذلك

مكتبتنا العربية

هو حق الإخاء ، وواجب الوفاء ، لا ما يتعلق به صغار النفوس ـ وما أكثرهم ـ من حب الإطراء والثنـاء .

فعن عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى . ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لميمون بن مهران رحمه الله : قل لى فى وجهى ما أكره ، فأن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره .

ولو أن المسلمين أشربوا فى قلوبهم هذه المحبة كما أشربها أسلافهم من المهاجرين والأنصار حتى قدمت فيهم أخوة الإيمان على أخوة الأنساب فى كل شىء حتى فى المواريث إلى أن استقرت بهم الدار ، واختلفت الحال ، لاستطاعوا أن يبنوا مجتمعا لايجد فيه الضعيف ذلة ، ولا الفقير قلة ، ولا المنقطع وحشة ، ولا الغريب غربة ، ثم لأوصدوا هذه الأبواب التى يظن الجاهلون أن فى فتحها المخرج من مشاكلنا الاجتماعية ؛ ثم لمحوا من بينهم هذه الحدود التى أقامها ليقطع بها ذات بينهم المستعمرون ، ويفرقهم بها الغاصبون ، حتى يكونوا ضعفاء مستذلين ، أو أعداء متنافرين . ولاستطاعوا أن يكونوا كما شرع الله أمة واحدة لا تفرقها المذاهب والعصبيات ، ولا تخالف بين قلوبها الاختلافات والخصومات . فأن ما بينهم ـ على وضوح الكتاب و بيان السنة ـ لعجب من العجب : عجب كما يقول على كرم الله وجهه يميت القلب ، و يشغل الفهم ، و يكثر الأحزان .

ولنختم هذه الكلمات بحديث كريم فى مثوبة المتحابين فى الله ومن يعطون هـذه المحبة حقها العظيم . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والمتجالسين فىّ ، والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فىّ » ، و بقوله تعالى فى صفة الأنصار الذين ضربوا لهـذه الأمة وللا مم جميعا أروع الأمثال فى المحبة والإيثار « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

انما هي اللقطة، بفتح القاف، لا غير

اللقطة : فى كتب الحديث بفتح القاف .

قال النووى : هى بفتح القاف على اللغة المشهورة التى قالها الجمهور .

وقال فى الفتح : اللقطة بضم اللام وفتح القاف ، على المشهور عند أهل اللغة والمحدثين .

وقال عياض : لا يجوز غيره .

وقال الزمخشرى فى الفائق : اللقطة ، بفتح القاف ، والعامة تسكنها . كذا قال : وقد جزم الخليل بأنها بالسكون .

وقال الأزهرى : هذا الذى قال هو القياس . ولكن الذى سمع من العرب وأجمع عليه أهل اللغة والحديث الفتح .

وذكر مثله القسطلانى .

هذا هو الصواب الذى لا محيد عنه ، وما سواه خطأ فاحش ، أوقع المخطئ فيه عدم تمييزه بين ما جاء على وزن فُعلة من النعوت ، وما جاء على وزنها من الأسماء .

ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ثم الليث ثم صاحب المقاييس ، وبعض المعاصرين .

ومن تمسك بقول الليث فى اللسان ، فقد أنكره عليه الأزهرى حيث قال : الفصحاء على غير ما قال الليث : روى أبو عبيد عن الأصمعى والأحمر قالا : اللقطة والقصعة والثُّفلة (بالفتح) مثقلات كلها . وهذا قول حذاق النحويين . ولم أسمع اللقطة (بالسكون) لغير الليث .

ونقل الأستاذ عبد السلام هرون فى التعليقة صفحة ٤٦٤ من تهذيب الصحاح ما جاء فى شرح الفصيح المنسوب إلى ثعلب ، لمؤلفه ابن درستويه قال : اللقطة على وزن فعلة ، بفتح الثانى ، والعامة تسكنه ، وأما الخليل فذكر أن اللقطة ساكنة القاف . والقياس ماقال الخليل وهو الصواب ، وما اختاره ثعلب وغيره خطأ .

انتهى كلام ابن درستويه .

مكتبتنا العربية

وابن درستويه خطأ الصواب ، وهو ما قاله ثعلب ، وصـوب الخطأ ، وهو ما قاله الخليل، والذى أوقعه فى ذلك أيضا عدم تمييزه بين ما جاء على وزن فعلة نعتا، وبين ما جاء على وزنها اسما .

وقد جاء فى أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحت باب ما جاء محركا والعـامة تسكنه : قال : أتحفته تحفة ، وأصابته تحفة ، وهى اللقطة ، لمـا يلتقط ، وقال فى الاقتضاب : كذا حكى غير ابن قتيبة ، ووقع فى كتاب العين : اللقطة بسكون القاف اسم لمـا يلتقط ، واللقطة بفتح القاف الملتقط ، وهذا هو الصحيح ، وإن صح الأول فهو نادر ، لأن فعلة بسكون العين من صفات المفعول ، وبتحريك العين من صفات الفاعل .

وأقول أنا : إن صاحب الاقتضاب قد خلط بين ما هـو اسم على وزن فعلة وبين ما هو نعت على وزنها ، كما خلط إخوان له من قبل .

أما الجواليقى فلم يعقب على قول ابن قتيبة ، وهـذا معناه إقراره لمـا قاله صاحب أدب الكاتب .

وقال ابن دريد فى الجمهرة (ج٣ ص ١١٢) واللقطة (بالفتح) ، التى تسميها العامة اللقطة (بالسكون) معروفة ، وهو ما التقطه الإنسان فاحتاج إلى تعريفه .

هذه النقول قد ذكرتها على طولهـا ، لأن بعض من يعز علينا قد أخطأ فيها وتمادى فى الخطأ حتى اعتقد أن الخطأ هو الصواب، وأن صواب غيره هو الخطأ .

والقول الفصل التعليمى فى هذا الباب ما عقد له ابن السكيت فى كتابه (إصلاح المنطق) باب فعلة . قال : واعلم أنه ما جاء على فعلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو تأويل فاعل . وما جاء على فعلة ساكنة العين فهو فى معنى مفعول به . تقول : هذا رجل ضحكة كثير الضحك ، ولعبة كثير اللعب ، ولعنة كثير اللعن للناس الخ . .

وفاته أن يذكر مثلا لفعـلة ساكنة العين ، فذكره السيوطى فى المزهر . قال : قال أبو عبيد : ويقال فلان لعنة يلعنه الناس ، وسبة يسبونه ، وسخرة يسخرون منه ، وهزأة وضحكة مثله ، وخدعة يخدع ، ولعبة يلعب به .

مكتبتنا العربية

ثم قال ابن السكيت : ومما أتى من الأسماء على فعلة (بفتح العين) ، الزهرة النجم . وهى التهمة واللقطة والتخمة والتحفة وعليك بالتؤدة فى أمرك . . الخ .

والذى يدعو إلى الدهشة أن الأستاذ عبد السلام هرون كان أحد شارحى ومحقق كتاب (إصلاح المنطق) وقد صدر عام ١٩٤٩ . ولما أخرج كتاب تهذيب الصحاح عام ١٩٥٢ انساق مع ابن درستويه فى تخطئة المصيب وتصويب المخطئ ، فى تعليقه على مادة لقط ص ٤٦٤ ، ولم يمر بذهنه ما قرره هذا المعلم الكبير : ابن السكيت ، فى إصلاح المنطق .

وبعد تحرير ما تقدم حدثنى الأستاذ الكبير السيد خير الدين الزركلى ، أن بدار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب : (التقريب فى علم الغريب) لابن خطيب الدهشة — محفوظة تحت رقم ٦٧٧

وقد جاء فيه : اللقطة كرطبة . ويسكن ، أو هو من لحن العوام . اهـ .

وأنا أقول قولا لا ريب فيه : بل هو من لحن العوام وإن قالها الخليل والليث وابن درستويه ومن والاهم من المعاصرين .

نقلت هذا من تعليق على صحيح مسلم الذى تخرجه الآن دار إحياء الكتب العربية . صفحة ١٣٤٧ ٦

محمد فؤاد عبد الباقى

الشباب والمشيب

لم يدر طعم العيش شبا ... ن ولم يدركه شيب
جهل يضل قوى الفتى ... فتطيش والمرمى قريب
أواه لو عقل الشبا ... ب ، وآه لو قدر المشيب

اسماعيل صبرى

مكتبتنا العربية

الى الميـــــدان

قسما بحبك يا بلادى والدموع الطاهره
لأخوض معركة الكفاح مع الجنود الظافره
ونرد كيد عصابة دارت عليها الدائره
مجد العروبة لن يهان فكل عين ساهره
ستكون دولتنا لأعداء السلام القاهره
بعزائم الشجعان منا سوف تبقى عامره
فلسوف نذهب للعدا مثل الأسود الكاسره
ولسوف نرجع بعد ما نسق الردى للغادره

* * *

قسما بحبك يا بلادى أننى ان أقعدا
حتى أرى بأس العدو اليوم قد ولى سدى
يأيها الوطن العزيز دم الشباب لك الفدا
سنخوض معركة تنال بها المنى والسؤددا
ونلقن الباغى دروسا ليس ينساها المدى
فالثأر يصرخ فى دمائى ضاربا لى موعدا
بين الملاحم ، كى أرد الحق من أيدى العدا
وبكل جارحة بجسمى الحر ، لبيت الندا

مكتبتنا العربية

فأذا حييت فأننى أحيا شريفا سيـدا
وإذا قتلت ففى سبيل الله أن أستشهـدا

* * *

عمـلاء إسرائيل لن يبغـوا لنـا غير النواح
قامت قيامتهم وثاروا عندما رمنا السلاح
ملئوا مسامع كل من فى الأرض من ذاك الصياح
وجموع إسرائيل ضجت من مهازلها البطاح
نقضوا العهود ، وأمعنوا فى غدرهم فلم النباح
هذى مكايدهم ترى للناس فى وضح الصباح
ومن المذلة أن نرى مهد العروبة يستباح
وطئوا قداسته وقالوا : إن ذا أمر مباح ! !
فألى المعـامع يا فتاتى قـد أتى زمن الـكفاح
فعلى تقتيل العـدا وعليك تضميد الجراح

عبد الله محمد أبو عيد
بكلية الشريعة

يا شرق

يا شرق فانزع عنك ثوب البلى واسـتبدل المبهج بالموجع
فقـد كفى أهليك مانابهم حتى أضاعوا واضح المهيع
كان لهم ما كان من عزة أرفع من أوج السهى الأرفع

مصطفى الغلايينى

مكتبتنا العربية

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تعديل التقويم العربى وبدء الشهر الشرعى

نبينا الأمى محمد صلى الله عليه وسلم قد عدل وحدات التقويم القمرى (اليوم ، الشهر ، السنة) ثلاثة تعديلات بالوحى دون الاستعانة بأى أحد من الحاسبين أو الفلكيين . وبيانه :

التعديل الأول : حصل فى السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ كان المتبع عند العرب خصوصا بالمدينة المنورة العمل بقاعدة تقريبية اصطلاحية لمبادئ الشهور القمرية بالوضع الاقترانى الوسطى ، فكانوا يجعلون كل شهر فردى العدد من السنة (٣٠ يوما) كالأول والثالث والخامس الخ ، وكل شهر زوجى العدد (٢٩ يوما) كالثانى والرابع والسادس ، وهكذا .

ومن المعلوم أن صيام شهر رمضان قد فرض فى شعبان من السنة الثانية بعد الهجرة ، إذ نزل فيه آية (شهر رمضان) إلى قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . وحدث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) و بقوله : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه) ...

وفى ليلة السبت الثلاثين من شعبان هذا التمس الصحابة رؤية الهلال بعد غروب الشمس ولم يروه ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بأتمام شعبان (٣٠ يوما) آخرها السبت ، وصاموا رمضان (٢٩ يوما) من الأحد لغاية الأحد ، إذ رأوا هلال شوال عاليا مساء الأحد ، وشمل هذا التعديل جملة أمور :

« منها » أن مبدأ الشهر القمرى بعد أن كان معتبرا بالوضع الاقترانى أى من الاجتماع للاجتماع صار معتبرا من الوضع الهلالى الذى هو (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد المحاق بحالة تحقق رؤيته بعد غروب الشمس) وبهذا صار مبدأ الشهر الدينى الإسلامى إنما هو اليوم المسبوق بالمغرب الذى يعقبه رؤية الهلال . . .

و « منها » أن مبدأ اليوم الدينى الإسلامى أيضا صار من الغروب للغروب ، فتقدم ليله على نهاره بعد أن كان اليوم عند العرب مضطربا ، تارة يعتبر مبدؤه من الشروق للشروق ، وتارة من الغروب ، وتارة من الزوال ، وتارة من لحظة الاجتماع كمبدأ الشهر الاقترانى عندهم ...

مكتبتنا العربية

و « منها » إقرار الشارع لتركيب الشهر من أيام كوامل عـددها (٣٠ يوما) تارة و (٢٩ يوما) أخرى مع إلغاء لزوم التعاقب بينهما أى إلغاء قاعدة الفردية والزوجية التى أشرنا إليها، إذ قد يتوالى فى القاعدة الشرعية أربعة شهور كوامل أعنى (٣٠ يوما) وثلاثة شهور نواقص أعنى (٢٩ يوما) بعد أن كان بعضهم يركبه من (٢٩ يوما) فقط تاركين للكسر و بعضهم يجعله (٢٩ يوما) وكسرا دائما غير مبالين بالكسر فى أوله أو آخره بحيث يبدأ الشهر من لحظة الاقتران ليلا أو نهارا، و بعضهم يجعل الشهر الأول من السنة (٣٠ يوما) والثانى (٢٩ يوما) والثالث (٣٠ يوما) وهكذا على التعاقب إلا ذى الحجة فيجعلونه فى السنة الكبيسة (٣٠ يوما) وفى البسيطة (٢٩ يوما) .

التعديلان الثانى والثالث : حصلا فى السنة العاشرة من الهجرة إذ كانت السنة القمرية الدينية (١٢ شهرا قمريا) منها (أربعة حرم) كالترتيب الحالى من عهد الخليل إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكن عرب قريش قبل الإسلام بنحو (٢٠٠ سنة) كانوا قد انحرفوا عن دين أبويهم وأدخلوا كبسا غير منتظم على سنتهم بجعلها (١٣ شهرا قمريا) كلما صادفت حرارة الصيف مواسم حجهم وتجاراتهم، ولم يكتفوا بهذه المخالفة بل كانوا ينسئون الأشهر الحرم : بأن ينقلوا اسم الشهر إلى ما بعده كلما أرادوا شن الحرب على غيرهم، فانبهمت معالم المواسم الدينية وفسد نظام هذا التقويم الدينى .

ولما جاء الإسلام عدله بتحريم الكبس والنسىء معا إذ نزلت الآيتان « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية » و « إنما النسىء زيادة فى الكفر الآية » بهذا التحريم فى سنة فاصلة بين الحق والباطل وهى العاشرة بعد الهجرة، إذ اتفقت فيها جميع التقاويم والتواريخ الشمسية والقمرية صحيحها وفاسدها، وعلم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بالوحى فحج وخطب فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، أى منذ خلق الله الأجرام السماوية وحركاتها وأزمنتها .

و يالها من معجزة باهرة لنبى أمى لا يكتب ولا يحسب، إذ عادت فى هذه السنة أسماء الشهور وجميع المواسم الدينية إلى أمكنتها التى كانت عليها زمن إبراهيم و إسماعيل عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم. كما كشف هذا أيضا أخطاء التواريخ : القبطى والرومانى والعبرى والميلادى قبل أن يتنبه أهلها لخطئها .

هذا ولم يؤثر أى خلاف بين المسلمين فى أول صومهم وفطرهم أيام النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ومن بعدهم مع اتساع رقعة الإسلام فى أيامهم واختلاف المطالع

مكتبتنا العربية

غير الحادثة المأثورة فى خلافة معاوية بالشام وولاية عبد الله بن عباس على المدينة المنورة، وكان عهد فتن كقطع الليل المظلم ومظنة عدم الثقة والاتصال كالحاصل بين حكومات الإسلام الآن .

اى نعم لم يكن سبب هذا الخلاف الآن من أصول الدين أو أصول الفقه الإسلامى، بل السبب الحقيق إنما هو التقاطع وعدم الثقة بين حكومات المسلمين، خصوصا بعد أن فرقتهم الحروب التترية والصليبية ودسائس الاستعمار ودماره .

ولذلك كان من أوجب الواجبات على المسلمين بعد إزاحة الاستعمار التماس عوامل التواصل والترابط والثقة بين حكوماتهم حتى تنتظم أمورهم الدينية والدنيوية .

ولاشك أن من أهم هذه العوامل اتحاد كلمتهم فى أول صومهم وفطرهم وجميع مواسمهم وأعيادهم ، إذ فيها تظهر مظاهر الوحدة الاجتماعية بمعانيها الحقيقية .

مع العلم بأنه لا يمكن تحقق هذا المأمول إلا مع المبدأ القائل (بعدم التعويل على اختلاف المطالع) فى إثبات مبدأ الصيام والفطر والحج والنحر وسائر الشهور الشرعية ، ما دام العمل بهذا المبدأ القوى لايخالف أصول الفقه ولارأى المحققين من مجتهدى الفروع، إذ صرحوا بالتزام أهل المشرق الصيام والفطر برؤية أهل المغرب وإن اختلفت المطالع .

وبالجملة فأن ما أريد بيانه أن الشارع قد اعتبر اليوم الشمسى الدينى الإسلامى بقسميه الليل والنهار « من المغرب للمغرب » ، فليل اليوم الشرعى يعقبه نهاره ، كما جعل الله لهذا اليوم بقسميه فلكا يدور به أو يسبح فيه على حد تعبير القرآن الكريم « وكل فى فلك يسبحون » حول الأرض من الشرق إلى الغرب . . .

وكما أن دول العالم قد اتفقت على أن المبدأ الدورانى لليوم المدنى عند خط الطول المقابل لخط جرينتش المار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى (خط تغيير التاريخ) بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط (الأحد ٢٢ مايو) مثلا يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط (الاثنين ٢٣ مايو) فأننا نعتبر أيضا هذا الخط مبدأ الدوران لليوم الشرعى . . .

فأذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو مبدأ اليوم المدنى من (خط تغيير التاريخ) نحو المغرب منه أعنى إلى آسيا ثم أفريقيا وأوربا والأطلانطى ثم أمريكا وهكذا

مكتبتنا العربية

فكذلك نتصور دوران المغرب الذى هو مبدأ اليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب قبل نصف الليل الذى هو مبدأ اليوم المدنى بست ساعات ، وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ .

بحيث إذا مر نصف الليل على القاهرة مثلا ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة قيل : إن الساعة عندنا الواحدة صباحا أى بعد نصف الليل من يوم (الاثنين٢٣ مايو) بعد أن كان قبل هـذه الساعة (الأحد ٢٢ مايو) بينما تكون الساعة حينئذ فى لندن (١١) من مساء (الأحد ٢٢ مايو) وهكذا يمـر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل البلد الغربى ويتجدد بمروره اسم اليوم الأسبوعى والتاريخ على هذا الترتيب . . .

وكذلك إذا مر المغـرب بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قيل إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من يوم الاثنين ٢٣ مايو بالتوقيت والتاريخ العربى أو الساعة (٧) أفرنكى مساء من يوم (الأحد ٢٢ مايو) بالتوقيت والتاريخ المدنى الغربى وهـكذا .

وبهذا تبين أن عمل جميع الحـكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد ولو كانت إلى الغـرب ما أمكن كما كش لايلزم عليه أى اختلاف أو تغيير فى التاريخ أو اسم اليوم الأسبوعى خلافا لمـا فهم البعض .

بقى أنى ذكرت فى المقال السابق أن الذين اعتمدوا الحساب الفلـكى سببا لوجوب أو جواز الصيام والفطر بدل الرؤيه من متأخرى الفقهاء يؤخـذ من عباراتهم مجتمعة أنهم يشترطون :

أولا : دلالة هـذا الحساب على إهلال القمر بمعنى اتجاه نوره نحو سطح الأرض بعد المحاق بحالة تحقق رؤيته مع البيان دون عسر بعد غروب الشمس .

ثانيا : أن يكون هذا الحساب الفلـكى من موثوق بحسابهم كأن يكونوا جمعا يؤمن تواطؤهم على الخطأ .

هذا من جهة معتمدى الحساب الفلـكى من الفقهاء، وأما من جهة الفلكيين الحاسبين والراصدين فقد اشترط أئمتهم لحالة (إمكان الرؤية مع البيان وعدم العسر) ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجـة) ولا يقل قوس المـكث عن (١٠ درجات) أو ما يساوى ذلك بحيث لا يقل زمن مكث القمر على الأفق بعد غروب الشمس عن (٤٠ دقيقة زمنية) .

مكتبتنا العربية

وأما إذا قل المكث عن (٤٠ إلى ١٦) فى مثل أفق القاهرة فقال أئمة الحساب الفلكى والرصاد منهم : إنها و إن كانت حالة إمكان للرؤية لكن مع خفاء وعسر ، ولذا لم يعتمدها هؤلاء الفقهاء مبدأ للصيام والفطر بدل الرؤية ، و إنما قال بعضهم : ينبغى ألا ترد شهادة الشهود معها . كما قال أئمة الحساب والرصاد أيضا باستحالة الرؤية حتى مع الصحو إذا لم يبلغ المكث (١٦ دقيقة) فى مثل عرض القاهرة ، ولذا قال بعض الشيوخ : ينبغى أن ترد الشهادة حينئذ إذ أنها ترد بالريبة ، والاستحالة العادية الثابتة بالحساب القطعى أقوى من الريبة . . .

هذه هى خلاصة شروط المعتمدين للحساب الفلكى بدل الرؤية كما يؤخذ من عباراتهم مجتمعة مع ندورتهم وضعف أدلتهم كما ذكرتها فى المقال السابق دون تعصب . . .

وقد سئلت أخيرا عن مصادر هذه الشروط خصوصا اشتراط كون الحساب من جمع يؤمن تواطؤهم على الخطأ ، وكذا اشتراط (حالة الإمكان مع البيان) واشتراط أئمة الحساب مكث الهلال (٤٠ دقيقة) . . . ؟

وأقول إجابة لهذا السؤال : إن مراجعى فيما تقدم (من كتب السادة الشافعية) شرحا ابن حجر الهيتمى والرملى الصغير على المنهاج وحواشيهما لابن قاسم العبادى والشروانى والرشيدى والسيد البصرى وفتاوى الرملى الكبير والعلم المنشور للسبكى وما نقلوه عن القشيرى المشهور بابن دقيق العيد وعن ابن حجر العسقلانى (ومن كتب الحنفية) حاشية ابن عابدين على الدر ورسالته (تنبيه الغافل) [١] . وأما مراجعى من كتب الفلك فملخص الجغميني وشروحه وحواشيه وكتاب تشريح الأفلاك للعاملى و (بهجة النظر فى حساب الأوقات والقمر) للشيخ الفيومى وشارح اللمعة للخضرى و (خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال) لشهاب الدين المجدى . وفى هذه المراجع أقوال كثيرة مختلفة ذكرها يطول ، وما قدمته خلاصتها وأصحها . و كلها أو معظمها موجود بمكتبة الأزهر . والله الموفق ؛

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك بالأزهر وبكلية الشريعة

---

(١) (وإرشاد أهل الملة إلى ثبوت الأهلة) للشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقا و (من كتب المالكية) مقاصد التحكيم للشيخ محمد على بن حسين مفتى السادة المالكية بالحرم المكى سابقا .

مكتبتنا العربية

الكتب

رائد الفكر المصرى ـ الامام محمد عبده

للدكتور عثمان أمين — ٢٨٧ صفحة — مكتبة النهضة المصرية

الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة أوسع الناس الآن دراسة لحياة الشيخ محمد عبده ، ومذهبه فى الإصلاح ، وما بذله من الجهود فى هذا السبيل . وأول عهد الدكتور عثمان أمين بهذه الدراسة يوم كتب أطروحته بالفرنسية ، عن الشيخ محمد عبده ، ليحصل بها على العالمية (الدكتوراه) من جامعة السوربون ، بل كان أول عهده به عندما كان يصغى إلى أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وهو ينوه بشيخه الشيخ محمد عبده ، كلما سنحت لذلك فرصة فى محاضراته ومناقشاته بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم اتصل الدكتور عثمان أمين بما عثر عليه فى دار السيد رشيد رضا من مراجع ووثائق عن الشيخ محمد عبده توطئة لإصدار كتابه عنه فى سلسلة أعلام الإسلام ، وكان ذلك قبل نحو اثنى عشر عاما ، ومن ذلك الحين إلى الآن ينشر الدكتور عثمان أمين فى المجلات والصحف العربية والإفرنجية ، بحوثا ممتعة عن هذا النابغة المجدد المصلح .

وأمامنا الآن آخر دراسات الدكتور عثمان أمين فى هذا الموضوع ، وهو كتابه (رائد الفكر المصرى) وهو كتاب ممتع حقا فى أربعة أبواب : الأول لسيرة الشيخ محمد عبده : فى شبابه ، وبعد أوبته من المنفى ، ووصف شخصيته . والباب الثانى لفلسفته : فعقد فصولا لمحمد عبده الفيلسوف ، ومحمد عبده والمنطق ، ومحمد عبده الناقد ، ونظرية الحرية ، ونظرية الخير ، وفلسفة الاجتماع ، وفلسفة تاريخ الدين . والباب الثالث لمذهب الإمام فى الإصلاح : الإصلاح الأخلاقى ، وتفسير القرآن ، والدفاع عن الإسلام ، ومواقف الإسلام من الصوفية ، والإمام وإصلاح الأزهر ، وموقف الإسلام من السياسة ، والإمام وتعدد الزوجات . وعنوان الباب الأخير : أشعة الأستاذ الإمام ، تكلم فيه على

مكتبتنا العربية

مدرسته فى مصر ومدرسته فى العالم الإسلامى . وبعد خاتمة تليق بالكتاب ذيله بثمانى قطع من مأثورات قلم الإمام . تلى ذلك فهارس للمراجع العربية والأوربية ، وكشاف للأعلام التى ورد ذكرها فى الكتاب ، وصور شمسية لوثيقة من خط الإمام ؛ والشهادة العالمية التى نالها من الأزهر فى عهد إسماعيل ، ورسالة بخط المستشرق براون إلى الأستاذ الإمام سنة ١٣٢١ (والمستشرقون إذا كتبوا بالعربية يؤرخون بالتاريخ العربى الإسلامى) ثم فهرس لموضوعات الكتاب .

إن كتاب (رائد الفكر المصرى) دراسة علمية لحياة شخصية من أعظم أعلام العصر الحديث فى دنيا العروبة والإسلام ، وقد بذل الدكتور عثمان أمين أعظم مجهود فى تسجيلها فشكرا له وجزاه الله خيرا .

المسند للامام أحمد

الجزء الرابع عشر — ص ٣٦٠ — دار المعارف بمصر

صدر الجزء الرابع عشر من مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١) بتحقيق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر ، متضمنا ٣١٤ حديثا (رقم ٧٥٥٦ — ٧٨٧٠) من مسند أبى هريرة الذى ابتدأ من الجزء الثانى عشر ص ٨١ ، وقد طبع على مطبوعة الحلبى سنة ١٣١٣ والنسخة الكتانية المغربية ، ومخطوطة أبناء الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ التى فى الرياض ، وعلى مجلد مخطوط سنة ٨٣٧ وفيه مسند أبى هريرة فقط . ومما لاريب فيه أن هذه المطبوعة الجديدة أصح ماخدم به مسند الإمام أحمد لضبطها وعظيم العناية بتصحيحها ، وللتحقيق فى إسناد أحاديثها والتنبيه على درجاتها من الصحة ، ومقارنة الأحاديث بطرقها فى دواوين السنة الأخرى ، زد على ذلك الاستدراك والتعقيب على الأجزاء السابقة ، وفهرس الأبواب ومايندرج تحتها من الأحاديث فى كل جزء ، إلى غير ذلك من مزايا الكمال التى بلغت المستوى المرجو فى الطباعة والنشر ، يسر الله إتمامه .

المصطلحات الاربعة فى القرآن

لأبى الأعلى المودودى — ١٣٧ ص - مطبعة العلوم والآداب بدمشق

وهذا كتاب آخر من ذخائر الفكر الإسلامى ألفه باللغة الأوردية الأستاذ السيد

مكتبتنا العربية

أبو الأعلى المودودى فى سنة ١٣٦٠ ، ونشر فصوله تباعا فى مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) ثم جمعه فى هذا الكتاب . والمراد بالمصطلحات الأربعة فى القرآن : الإله ـ الرب ـ العبادة ـ الدين . وهذه الكلمات الأربع أساس المصطلح القرآنى وقوامه ، والقطب الذى تدور حوله دعوة القرآن . ولما كان دين الإسلام أقدس العقود بين المسلمين وربهم ، فإن الوفاء بهذا العقد متوقف على فهم شروطه والعمل بها ، وقد ألف هذا الكتاب لذلك فقام بنقله إلى العربية الأستاذ السيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان التى يقوم عليها معتمدها الأستاذ السيد محمد عاصم الحداد ، بعد نقيدها ومؤسسها السيد مسعود عالم الندوى رحمه الله .

ومن زيادة العناية بهذه الترجمة العربية للكتاب أنه قد ألحق به ملحق بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، بقلم الأستاذ المحقق الشيخ ناصر الدين الألبانى . فنحث العارفين بقدر مؤلفات السيد أبى الأعلى المودودى على إكمال ما عندهم من مجموعة مؤلفاته باقتناء هذا الكتاب .

مع الرعيل الأول

لمحب الدين الخطيب — ٢٧٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

الرعيل الأول فى الإسلام هو الذى قال فيه رسول الله إلى الإنسانية صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » وقد حدد ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى إلى سنة ٢٢٠ ، وهذه الحقبة التى شهد لها النبى صلى الله عليه وسلم ولأهلها بأنها خير القرون قد اتخذتها أقلام الدخلاء على الإسلام من المؤرخين والأدباء هدفا للطعن . ولما كانت هى المثل الأعلى فى الكمال الإنسانى ، فقد شوه الطاعنون سيرة أهلها وصوروهم للقراء بغير صورهم التى كانوا عليها فى الواقع . إلا أن الذين يتحرون الصدق من رجال الحديث كالبخارى ومسلم والإمام أحمد وأضرابهم استدركوا هذا الشر وقطعوا الطريق على أهله فأثبتوا فى كتبهم التى هى أصدق الكتب بعد كتاب الله نصوصا تدل على حقيقة أعلام القرون الثلاثة الأولى ، ليهتدى الناس بها إلى مواطن الحق فى تاريخ الصحابة والتابعين .

وكتاب (مع الرعيل الأول) الذى صدر هذا الشهر بقلم رئيس تحرير هذه المجلة هو مجموعة فصول عن القرون الثلاثة الأولى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أوائل القرن الثالث الهجرى ، وهى مستمدة من نصوص علماء الثقة والصدق من رجال الحديث وتلاميذهم

مكتبتنا العربية

ومن نهج منهجهم ، وفيها صورة صادقة لأهل تلك القرون الثلاثة تؤيد صحة الحديث النبوى فيهم ، وتصحح الصورة الكاذبة المشوهة التى رسمها أهل الأغراض السياسية والمذهبية من المؤرخين . وما دمنا فى عصر أخذنا فيه باعادة النظر إلى أخطاء التاريخ محاولين تصحيحها ، فان هذا الكتاب سيوقظ المشتغلين بالتاريخ و ينبههم لحقائق تدفعهم إلى كتابة التاريخ الإسلامى من جديد اعتمادا على النصوص الإسلامية الصحيحه التى أشرنا إليها . و بذلك يتبين لهم سر الله فيما أسدى من نصر وتوفيق لأهل الصدر الأول حتى تم لهم نشر دعوة الإسلام فى آفاق الدنيا ، و إقامة دعائم الإمبراطورية الإسلامية التى كانت مفخرة الإنسانية فى التاريخ ، وما كان ذلك إلا على أساس من الأخلاق والدين وتقوى الله عز وجل ، فجاءت النتائج على قدر مقدماتها ، ولا ينقصها إلا أن يعلمها الناس كما كانت فى الواقع ، وهو أحد الأغراض الأولى من تأليف هذا الكتاب .

البهائية

لمحب الدين الخطيب — ٣٠ صفحة كبيرة — المطبعة السلفية ومكتبتها

هذا هو البحث الذى سبق لرئيس تحرير هذه المجلة كتابته ، ونشر فى جزءى رجب وشعبان ، من المجلد السادس والعشرين لمجلة الأزهر . وهو على اختصاره لا نظير له فى العربية ولا فى غيرها لأنه مأخوذ عن كتب البهائيين مباشرة : ما ينشرونه منها ليطلع عليه الناس ، وما يتداولونه بينهم محاولين بذلك أن يواروا سوءاتهم . و يمتاز هذا البحث عما فى كتبهم بأنه قد وضعت فيه النقط على الحروف بعناية و بصيرة ، فجاء مرجعا صحيحا لمعرفة عقيدة هذه النحلة الضالة وسيرة مؤسسيها ، وكيف تطورت حركتهم إلى أن صارت الى ما هى عليه الآن . وقد نشر هذا البحث الآن فى كراسة مستقلة ليطلع عليه الذين لم يتيسر لهم قراءته فى المجلة عند صدورها .

الوجودية فى الميزان

للأستاذ محمد أبى المكارم عيسى — ٣٢ ص — مطبعة لجنة البيان العربى

الكفر بالله مرض قديم أصيب به ضعفاء الأحلام من الناس ، منذ أنعم الله على الانسانية بمعرفته والايمان به . والوجودية أحدث أعراض هذا المرض وأسخفها ، وقد

مكتبتنا العربية

علم قراء مجلتنا أن لهذا المرض العقلى دعاة وناشرين حتى فى جامعاتنا . ولما كانت معالجته من رسالة قسم الوعظ والإرشاد فى الأزهر فقد نشرنا لصاحب الفضيلة مدير الوعظ والإرشاد مقالين فى الجزء الماضى وهذا الجزء عن الاله والوجوديين ، وأهديت إلينا رسالة بعنوان (الوجودية فى الميزان) لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى المكارم عيسى الواعظ بالأزهر ، وهى رسالة ممتعة تناولت هذا البحث من مختلف النواحى ، وقدم لها فضيلة الأستاذ الجليل مدير الوعظ والأرشاد ، فلفت إليها الأنظار .

الرائد الى سليم العقائد

للأستاذ أبو العلا بدارى — ٢٠٦ ص — مطابع دار الكتاب العربى

أسلوب جديد فى تقرير العقيدة السليمة وعرضها على قلوب الطلبة منسجمة مع مايتلقونه من أسرار الطبيعة ، وآيات الله فى الأحياء من نبات وحيوان ، وما تقع عليه أنظارهم من بدائع الكون ، ألفه فضيلة الأستاذ أبو العلا على حسين بدارى ناظر مدرسة لطفى باسيوط وأحد علماء الأزهر ، مستفيدا من تجاربه العملية فى تكوين العقيدة الاسلامية فى نفوس أبناء المسلمين ، فائتلف بهذا الأسلوب الاستدلال على دين الفطرة بالحقائق التى فطر الله الكون عليها . يتلو ذلك عرض لطيف فى فصول متعددة لمعالجة الإسلام أحوال المجتمع ، وتقويمه نفوس أهله بمكارم الأخلاق ، وما لعبادته من جميل الأثر فى تكوين الأمة الصالحة . فنرجو الله أن ينفع الناشر بما فيه من حسن التوجيه .

مذكرة علوم القرآن

لفضيلة الشيخ أحمد أحمد على — ١١١ ص — مطبعة الأزهر

صدرت الطبعة الثالثة من هذه المذكرة النافعة لطلبة السنة الأولى (قسم إجازة الدعوة والإرشاد) بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين ، وهى منطبقة على المنهاج المقرر فى معنى علوم القرآن وتاريخ ظهور هذا الإصلاح وتاريخ التدوين له وحكمة تنجيم القرآن وأول ما أنزل وآخر ما أنزل ، ونزول القرآن على سبعة أحرف ، والمكى والمدنى ، والكلام على الوحى والشبه الواردة عليه ، ومنهاج جمع القرآن بحفظه وكتابته والشبه الواردة على الجمع وردها ، ومنهاج ترتيب القرآن وكتابته ورسم المصحف والاعجام والشكل ، ومنهاج القراءات والقراء ، ومنهاج التفسير والمفسرين ، ومزج العلوم الادبية والكونية بالتفسير إلى غير ذلك من تفاصيل المقرر لهذه المادة فى دراسة الأزهر .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

رسالة المثقف

قال وزير التربية والتعليم فى حفل أقيم فى نادى بنك مصر بانيابه لتكريم رجال التعليم الذين أحيلوا إلى المعاش : أرجو ألا تنقطع صلتكم بالتعليم بمجرد انتهاء مدة خدمتكم ، لأن عمل الرجل المنتج ليس مجرد وظيفة ، ولكنها رسالة كبرى لا تنتهى إلا بانقضاء الحياة .

ونحن نرى من تمام هذه الحكمة أن يعيد المثقف نظره إلى رسالته — إن كان يرى أن له رسالة — فينقيها من أدران الخطأ ، ويرجع إلى ربه فى الأخطاء الفكرية التى سبق له الانزلاق فيها فيصححها لتكون خاتمته — بعد إحالته إلى المعاش — أرضى لله مما انزلق فيه انخداعا بالثقافات الأجنبية ومغريات الدنيا .

مؤتمر عليكرة الجغرافى

دعت جامعة عليكرة الإسلامية فى الهند إلى مؤتمر جغرافى انعقد بين ٩ و ١٦ يناير الماضى وحضره ممثلون من عشرين دولة من آسيا وإفريقية ، علاوة على ممثلى أربعين جامعة وأربع جمعيات جغرافية عالمية وبعض ممثلى الهيئات الدولية ، فبلغ مجموع أعضاء المؤتمر ٢٦٠ عضوا ، ومثل مصر فى هذا المؤتمر وفد برياسة مدير جامعة أسيوط . وألقى مندبو مصر أربعة بحوث أساسية فى موضوعات : مسح الأراضى ، واستخدام موارد البيئة ، ومشروع السد العالى ، والمشروعات التى أعدت لمواجهة تزايد السكان فى مصر وموقع مصر الجغرافى وأثره فى تحديد سياستها الدولية . وقد أجمع المؤتمر على أن موقف مصر فى سياستها الحاضرة يعتبر مثالا للأمة التى تريد أن تحمل الأمانة فتصون كيانها وكرامتها واستقلالها من جهة ، وتحول دون أن تستغل أية قوة كبرى موقعها الجغرافى من أجل تحقق سيطرة عالمية . بل إن المؤتمر أجمع — بما فيه من ممثلى بعض الجامعات البريطانية والاوسترالية — على أن موقف مصر الحازم فى سبيل الاحتفاظ بحياد موقعها الجغرافى سيكون فيه إنقاذ الشرق الأوسط كله من أن يصبح مجالا للتنافس الدولى من أجل السيطرة ، كما ينقذ العالم كله من أن تصبح هذه المنطقة الخطيرة طريقا للسيطرة العالمية والحرب التى قد يحتك فيها الشرق بالغرب احتكاكا لابد أن ينتهى إلى كارثة إنسانية .

مكتبتنا العربية

مجلس دولى للدراسات العلمية

قرر مؤتمر عليكرة الجغرافى إنشاء مجلس للدراسات العلمية فى إفريقية وآسيا ينضم إليه علماء يمثلون القارتين لتنظيم تبادل المعلومات ونتائج البحوث العلمية ، وعقد المؤتمرات وتبادل البعثات التى بالقارتين و بلادهما وحياة شعوبهما ونهضاتهما القومية وتحقيق التعاون بين الباحثين بصفة عامة .

ذكرى الخلافة الاموية

فى قرطبة

تقيم الدولة الاسبانية عما قريب احتفالات شائقة لذكرى تأسيس عبد الرحمن الداخل الخلافة الأموية فى قرطبة ، وسيقام معرض عربى اسبانى فى قرطبة — خلال هذه الاحتفالات — يشتمل على أقسام خاصة بالفن المعمارى ، والآثار ، والنحت ، والنقش على القيشانى ، والأسلحة ، والنقود ، وصناعة الأوانى النحاسية والزجاجية والبرنزية والفضية والأقمشة والسجاجيد ، وسيقام معرض للموسيقى والقصص الشعبى . وتعد ادارة العلاقات الثقافية فى اسبانيا ومعهد الثقافة الاسبانية معا برنامجا شاملا لهذه الاحتفالات .

اللغة العربية بلندن

ورد فى التقرير السنوى الذى اصدرته مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن أن هنالك أكثر من ١٥٠ طالبا كانوا يتلقون العلم فى قسم دراسات الشرق الأدنى والأوسط بالمدرسة فى العام الدراسى ١٩٥٤ — ١٩٥٥

ومن هؤلاء ٩١ طالبا كانوا يدرسون اللغة العربية ، و ٢٢ الفارسية ، و ١١ العبرية ، و ٧ التركية ، فى حين كان الباقون موزعين بين اللغة الكردية والجورجية واللغات القديمة .

الطلبة المصريون

يدرسون الطاقة الذرية

يدرس الآن سبعة من الطلبة المصريين فى (قسم الاشعاع الذرى) بمركز الابحاث الذرية فى هارويل ببريطانيا .

وقد وقع الاختيار على ضعف هذا العدد من الطلبة المصريين الذين يدرسون الطبيعيات و ظهرت مواهبهم ، لكى يتدربوا — ابتداء من أول ابريل القادم — و يرجى أن يفد من مصر الى بريطانيا رأسا طلبة آخرون لتلقى دروس عملية فى العلوم الذرية .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

الدستور والهدف

قال البكباشي زكريا محيي الدين وزير الداخلية عند افتتاحه نقطة بوليس كفر شكر: إن الدستور في ذاته ليس هدفا ، وإنما الهدف المبادئ والمعاني التي سجلها الدستور . وهو العمل المنتج ، وبناء مجتمع صالح قوى بمبادئه ، وأخلاقه ، ليواجه هذا المعترك الدولي المليء بالدسائس والأطماع . إن الدستور وحده لن يجعل السماء تمطر ذهبا وفضة ، ولكن العمل والكفاح والاتحاد هو الوسيلة للنهوض بالأمة والوطن .

القوانين

التي ذكرت في الدستور

يقول البكباشي أركان الحرب حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية والعمل : إن القوانين التي أشار إليها الدستور إذا كانت تتناول مبدءا جديدا ، فلا بد أن يصدر بها قانون جديد ينظم موضوعاتها ، أما إذا كانت تتناول شيئا قائما فسيكون الغرض من ذكرها في الدستور الاعتراف بهذا الشيء والتأكيد له ، ومن ثم تترتب الالتزامات التي تتعهده بالنمو حتى تصل به إلى حد الكمال .

التعاون في الدستور

لأول مرة تعترف الدولة المصرية بالتعاون في دستورها الجديد على أنه أساس من أسس النظم القائمة في مصر . صحيح أن هذا النظام كان موجودا من قبل ، ولكن شتان بين ما كان عليه وبين قيامه على قواعد دستورية سليمة تهدف لخير الجميع ، في شتى مرافق الحياة الاقتصادية والعمرانية .

طريق السويس — جدة

في مقدمة الطرق التي يراد إقامتها لربط مصر بالمملكة العربية السعودية طريق يمتد من السويس إلى جدة ، وتقوم مصر بانشاء وتعبيد قسمه الممتد من السويس إلى خليج العقبة في محاذاة الشط الشرقي من خليج السويس ، وينتظر أن ينتهي قبل نهاية العام الحالي ، وتقدر نفقاته بنصف مليون جنيه ، ويبلغ طوله ٥٠٠ كيلو متر .

وتقوم المملكة السعودية من جانبها بانشاء طريق داخل حدودها على أن يتصل بالطريق المصري ، فيمتد من منطقة الرأس

مكتبتنا العربية

إلى المويلح فينبع إلى جدة ويبلغ طوله ٨٠٠ كيلو متر ، وقد بدأت الجهات المختصة فى القطر الشقيق بتنفيذ المرحلة التمهيدية لإنشاء هذا الطريق .

وكان هذا الطريق ـ قبل الاعتماد على البواخر البحرية ـ هو طريق الحج المصرى من السويس إلى الحجاز .

الجزائر

لا يمكن اعتبارها مقاطعة فرنسية

تولى الوزير الفرنسى الجنرال كاترو منصب « وزير يسكن فى الجزائر » وليس منصب « الوزير المقيم » ، وأدلى بتصريح لصحيفة فرنسية قال فيه : « إن نظرية ضم الجزائر إلى فرنسا أصبحت قديمة ، ولا تتمشى مع التطور الحديث ، وإن للجزائر شخصية جزائرية خاصة » . ثم قال : « ولا يمكن اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية . ويجب أن نبتكر نظاما يرضى الشخصية الجزائرية ، كاعطائها مثلا استقلالا إداريا كبيرا لا يؤدى إلى الاستقلال السياسى ، وبمعنى آخر يجب تأييد النظام الحالى مع توسيعه ومنح جميع سكان الجزائر حقوقا وواجبات متساوية . وفى هذه الظروف إذا أصبحت فرنسا الجمهورية فى المستقبل وحدة جمهورية فيدرالية فأن الجزائر تجد مكانها فيها » .

هذا ماقاله صاحب « منصب وزير يسكن فى الجزائر » وهو صادر عن عقلية استعمارية يلغى عليها التعصب فيخفى عليها تطور الشعوب العربية واهتداؤها إلى طريق التحرر الذى لا طريق لها غيره . ومع ذلك فان الفرنسيين الذين أسكنتهم فرنسا فى وطن الجزائريين منذ مائة سنة إلى الآن قد ساءهم هذا التصريح الاستعمارى المائع من الجنرال كاترو ، فما كاد رئيس الوزارة الفرنسية يصل إلى الجزائر حتى خرج نزلاؤها الفرنسيون لاستقباله بالشتائم ، ورجموه بالطماطم والبيض والحجارة ، وأرغموة على إقالة الجنرال كاترو .

وفى نفس الوقت أصدر النواب والعلماء الجزائريون بيانا طالبوا فيه رئيس الوزراء بالحكم الذاتى للجزائر وعدم الخضوع لضغط المستعمرين الفرنسيين .

ميثاق الجامعة العربية

تقترح سوريا تعديله

تلقت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة من وزارة الخارجية السورية تقترح فيها تعديل ميثاق الجامعة على ضوء التجارب التى مرت بها فى الميدانين العربى والدولى ، وقالت المذكرة : إن الهدف من هذا هو تعديل ميثاق الجامعة العربية بصورة تؤدى إلى دعمها وازدياد نشاطها فى الحقل العربى وفى الميدان الدولى .

مكتبتنا العربية

مؤازرة الصهيونية

أبعدت الشعوب العربية عن الغرب

عقد سفير المملكة العربية السعودية فى مصر مؤتمرا صحفيا طالب فيه بريطانيا وأمريكا بأن تقلعا عن مؤازرة الصهيونية العالمية ، وأن توقفا سياستهما الاستعمارية التى أبعدت العرب عن الغرب ، وأعلن أن لدى حكومته وثائق دامغة تدين بريطانيا وتثبت أنها استخدمت المال للتأثير على المواطنين العرب لتصل إلى أغراضها الاستعمارية . قال : وان حكومته ستقدم هذه الوثائق للعالم فى الوقت المناسب

المكتبات المدرسية

نجح فى امتحان الدراسات التدريبية لأمناء المكتبات المدرسية الذى عقد للفوج الثانى ، ٩٤ مدرسا ومدرسة ، من مجموع الذين حضروا هذه الدراسات وعددهم ١٢٠ من مدرسى القاهرة والجيزة . وينتظر أن تصدر وزارة التربية والتعليم قريبا قرارا باسناد أعمال المكتبات إليهم .

وقد اعتمد وزير التربية والتعليم اللائحة الخاصة بالمكتبات المدرسية ، ومن أهم نصوصها إعفاء المدرسين المشرفين على المكتبات من الحصص فى المدارس والمعاهد الكبيرة ، وتخفيض جدول الحصص فى المدارس الصغيرة إلى عشر حصص ، لكى يتمكن أمناء المكتبات من النهوض بواجباتهم فيها على أكمل وجه .

حركة الترجمة والتأليف

كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم قد قررت مشروعا بترجمة وتأليف ألف كتاب تملأ فراغ المكتبة العربية فى الموضوعات التى لا غنى عنها ، على أن ينفذ هذا المشروع بالتدريج . وقد بلغ عدد الكتب التى اختارتها للترجمة حتى الآن ١٣٠ كتابا فى نحو ستة عشر موضوعا كما بلغ عدد الكتب التى تقرر تأليفها فى موضوعات خاصة بهذا المشروع ثلاثين كتابا فى مختلف العلوم والفنون .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
٦٩٧	الشعب المصرى جزء من الأمة العربية . . .	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٠٢	أمثلة من توافق العربية والمصرية القديمة . .	» » » » » »
٧٠٣	نفحات القرآن : غرور الناقصين وتزكية الآثمين	» عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٠٩	السنة : خاتم النبيين ـ ٤ ـ	» طه محمد الساكت . . . . .
٧١٤	بنو إسرائيل فى الماضى والحاضر ـ ٢ ـ . .	» محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٠	السفير الأزهرى	» أبو الوفا المراغى . . . . .
٧٢٣	الرشوة من أدوائنا الخطيرة	» على المهارى . . . . .
٧٢٧	حقوق الانسان فى الدستور الجديد . . .	» أحمد طه السنوسى . . . . .
٧٣١	الانشاء وديوان الانشاء	» محمود رزق سليم . . . . .
٧٣٦	المرأة المثالية فى تقدير الاسلام	» عباس طه الحامى . . . . .
٧٣٩	يوم فى هارفارد	الدكتور عثمان أمين . . . . .
٧٤٦	الامام محمد عبده والأزهر	الأستاذ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر .
٧٥٠	الاله والوجوديون ـ ٢ ـ	» محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء
٧٥٤	الاسراء والمعراج	» محمد عبد الحميد البهوشى . . . . .
٧٥٩	لغويات	» محمد على النجار . . . . .
٧٦٤	بحوث فى الحضارة ـ ١ ـ	» عيسوى أحمد عيسوى المدرس بكلية الحقوق
٧٧٦	لا تأكلوا لحم الخنزير	الدكتور محمد محفوظ . . . . .
٧٧٨	حول ترجمة القرآن الكريم	الأستاذ عيسى منون شيخ كلية الشريعة السابق
٧٨٧	مهازل الترجمة فى الكلام البليغ	. . . . .
٧٨٩	الدستور الجديد	» عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٩٢	مسئولية الطبيب	» عبد الله المراغى . . . . .
٧٩٦	أغراض الاسلام يتحدث عنها وزير الشئون .	» عبد القادر شيبة الحمد . . . . .
٧٩٩	فضيلة المحبة فى الله	» محمود فرج العقدة . . . . .
٨٠٤	إنما هى القطة بالفتح	» محمد فؤاد عبد الباقى . . . . .
٨٠٧	وكن الطلبة : إلى الميدان	» عبد الله محمد أبو عيد . . . . .
٨٠٩	أسرار الشريعة الاسلامية فى بدء الشهر . .	» محمد أبو العلا البنا . . . . .
٨١٤	الكتب	المجلة . . . . .
٨١٩	الأدب والعلوم	المجلة . . . . .
٨٢١	أنباء العالم الاسلامى	المجلة . . . . .